

# موسوعة عالم الأديان

كل الأديان . المذاهب . الفرق . البدع في العالم

13

NOBILIS



# موسوعة عالم الأديان

كُلُّ الأديان والمذاهب والفرق والبدع في العالم

---

الكائنات السريانية والأشورية والكلدانية



مجموعة من كبار الباحثين

بإشراف

ط. ب. مفرج

موسوعة

# عالم الأديان

كل الأديان والمذاهب والفرق والبدع في العالم

الجزء الثالث عشر

الكنائس السريانية والآشورية والكلدانية

NOBILIS

## جميع الحقوق محفوظة للناشر

طبعة أولى - ٢٠٠٤

طبعة ثانية - ٢٠٠٥

إسم المجموعة	: موسوعة عالم الأديان
	كُل الأديان والمذاهب والفرق والبذع في العالم
إسم الكتاب	: الكنائس السريانية والآشورية والكلدانية
الجزء	: الثالث عشر
المؤلف	: مجموعة من كبار الباحثين بإشراف ط. ب. مفرج
قياس الكتاب	: ٢٠ × ٢٨
مكان النشر	: بيروت
دار النشر والتوزيع	: NOBILIS
تلفاكس	: ٥٨١١٢١ - ١ - ٩٦١
	: ٥٨١١٢١ - ٣ - ٩٦١

يُمنع نسخ أو اقتباس أي جزء من هذه المجموعة أو تخزينه في نظام معلومات  
إسترجاعي أو نقله بأي شكل أو أي وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو بالنسخ  
الفوتوغرافي أو التسجيل أو غيرها من الوسائل، دون الحصول على إذن خطي مسبق  
من الناشر.

# المحتويات

## الفصل الأول

الكنيسة السريانية الأرثوذكسية

الكنيسة السريانية المونوفيزية - ص ١١؛

يعقوب البرادعي - ص ١٧؛

المونوفيزية السريانية قبل الإسلام - ص ١٩؛

بعد الفتح الإسلامي - ص ٢٣؛ من السريانية إلى العربية - ص ٣٠.

## الفصل الثاني

إنتشار الكنيسة السريانية المونوفيزية

إنتشار الكنيسة السريانية المونوفيزية - ص ٣٧؛

في الحقبة الصليبية - ص ٣٨؛

نشأت السريان - ص ٤٣؛

الكنيسة السريانية الأرثوذكسية (المونوفيزية) اليوم - ص ٤٧.

## الفصل الثالث

### الكنيسة السريانية الكاثوليكية

الكنيسة السريانية الكاثوليكية - ص ٥٣؛

الإنضمام الرسمي إلى كنيسة روما - ص ٥٦؛

الكنيسة السريانية الكاثوليكية في لبنان - ص ٦١؛

السريان الكاثوليك اليوم - ص ٧٤.

## الفصل الرابع

### الكنيستان الآشورية والكلدانية

الكنيستان الآشورية والكلدانية - ص ٧٩؛ إنتشار الكنيسة السريانية الشرقية - ص ٨١؛

إشعاع فكري - ص ٨٥؛ الأديار والرهبانيات - ص ٨٨؛

في ظل بداية الإسلام - ص ٩١؛ الإنتكاسات الخطيرة - ص ٩٩؛

إمتناع الكنيسة السريانية الشرقية في بلاد آشور - ص ١٠٦؛

من مآثر الترك - ص ١٠٩؛ آشوريون وکلدان - ص ١١٢؛

كنيسة کلدان في العهود الأخيرة - ص ١٢٧؛

كنيسة الشرق الآشورية في العهود الأخيرة - ص ١٣٢.



## الفصل الخامس

### الكنائس الهندية

كنائس الملابار والمالينكار الهندية - ص ١٤٣.

## الفصل السادس

### الكنائس الشرقية والمجمع الفاتيكاني الثاني

الكنائس الشرقية والمجمع الفاتيكاني الثاني - ص ١٤٩؛

مُعَانَاةً فِي الشَّرْقِ وَمِنْ الْغَرْبِ - ص ١٤٩؛

فِي الْمَجْمَعِ الْفَاتِيكَانِيِّ الثَّانِي وَبَعْدَهُ - ص ١٥٤؛

الكنائس الشرقية والحركة المسكونية - ص ١٦٠.



# الْكَنِيسَةُ السَّرِّيَّاتِيَّةُ الْاَرْتُوذُوكْسِيَّةُ

الْكَنِيسَةُ السَّرِّيَّاتِيَّةُ الْمُؤَنَوِفِيَّةُ؛

يَعْقُوبُ الْبَرَادَعِي؛

الْمُؤَنَوِفِيَّةُ السَّرِّيَّاتِيَّةُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ؛

بَعْدَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ؛

مِنْ السَّرِّيَّاتِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ.



# الكنيسة السريانية المونوفيزية

تسمية الكنيسة السريانية تنطبق اليوم حصراً على جزءين من مذاهب الكنيسة التي كانت في الماضي السحيق سريانية، دلالة على المسيحيين من أهل البلاد، في مقابل الكنيسة اليونانية التي كانت تعني المتحدرين من الأصول الهلينية، هذان الجزءان هما: السريان الأرثوذكس والسريان الكاثوليك.

والسريان أصلاً، هم الذين كانوا يُعرفون قبلاً بالآراميين، وهم شعب سامي يتألف من مجموعة قبائل شمالية سكنت خلال القرن السادس عشر قبل الميلاد في آرام في شمال بلاد الشام فنُسبت إليها، ثم توسعت حتى احتلت، في القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد، بلاد ما بين النهرين، وانتشرت لغة الشعب الآرامي في بلاد الشام وفارس والهند والجزيرة العربية، وأصبحت لغة الشرق كله في عهدي الأمبراطوريتين اليونانية والرومانية. بها كُتب بعض أسفار العهد القديم، وبها تكلم يسوع وبها كُتب بعض العهد الجديد. ويُعدّ السريان الآراميون أول شعب وثني اعتنق المسيحية، وذلك منذ القرن الأول الميلادي عن يد بطرس الرسول في أنطاكية وعن يد توما الرسول وتلميذه إداي وملري في الرها وجميع بقاع بلاد ما بين النهرين، ومن هناك انطلقت البشري إلى بلاد فارس والهند. وبحسب بعض الباحثين أنه منذ اعتنق الآراميون المسيحية بدأوا يحملون اسم "سوريا أو سوريا" باللهجة الآرامية، ومعناها مسيحي،

وقد تحوّر اللفظ لاحقاً إلى سيريان أو سوريان ومن ثمّ سريان على السنة اليونان والرومان. بينما جاء في أبحاث أخرى أنّ لفظة سرياني جاءت من سوروس، وهو رجل آرامي استولى على بلاد الشام وما بين النهرين ومنه سُمّيت البلاد سورية وأهلها سريانيًا<sup>١</sup>. ويقول بعض كبار الباحثين إنّ الآراميين، سكّان سوريا ولبنان، عندما تتصّروا، تبنّوا لهجة إيدسا، أي الرها الآرامية وجعلوها لغة الكنيسة والأدب ولغة الطبقة الراقية، وأصبحوا يُعرفون باسم "سريان" أي سكّان سورية، أمّا اسمهم القديم "آراميون" فقد كان يذكّرهم بوثيّتهم ولذلك تخلّوا عنه وأصبح لفظ "آرامي" في عقولهم، حتّى وفي معاجمهم، إسمًا مرادفًا للوثنيّة. وهكذا اختفى الإسم السامي القديم "آراميون" وحلّ محله الإسم الإغريقيّ الجديد "سريان" أي أهل سورية، وأصبحت اللغة تُسمّى السريانيّة عوضًا عن الإسم القديم: الآرامية<sup>٢</sup>. وما زال إلى اليوم في بعض قرى سورية وشمال العراق بقايا من هذا الشعب تتكلّم اللغة السريانيّة.

أمّا أصل كلمة "مونوفيزيّة" فمركّب من كلمتين يونانيتين MONOS و PHYSIS الأولى تعني "واحد" والثانية تعني "طبيعة"، ومعنى الكلمة المركّبة MONOPHYSIS التي جاءت منها MONOPHYSITISME أي المونوفيزيّة: طبيعة واحدة. ولقد كان أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة قد رفضوا القبول بمبدأ الطبيعتين: الإلهيّة والبشريّة، في الشخص الواحد للمسيح، الذي أكّد عليه مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١. واعتقد أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة بأنّ المظهر البشريّ والإلهي في المسيح لا يشكّل سوى طبيعة مركّبة

١ - الجميل المطران ميخائيل، كنيسة السريان الكاثوليك، في كتاب: تاريخ الكنيسة، دار المشرق (بيروت، ١٩٩٧) ص ١٢٥.

٢ - حتّي د. فيليب، لبنان في التاريخ، طبعة فرنكلين (بيروت - نيويورك، ١٩٥٩) ص ٢٥٠ - ٢٥١.

واحدة، واتَّخَذُوا شعاراً لهم: "الطبيعة الواحدة لكلمة الله المتجسدة". ومن هنا أتى اسمهم: المونوفيزيون<sup>١</sup>.

يعتبر السريان أنهم هم المؤسسون لكنيسة أنطاكية<sup>٢</sup>، وهي الكنيسة الثانية التي أُمِّسَتْ بعد الكنيسة الأمّ في أورشليم. وما يميّز الثانية على الأولى، هو أن كنيسة أورشليم إنّما كانت، في بدايتها، شبه محصورة باليهود المنتصرين، بينما اتَّخَذَتْ كنيسة أنطاكية الطابع الأممي. فغدت البوابة الكبرى التي انطلقت منها المسيحية إلى العالم. ومن أنطاكية، كما ذكرنا في أجزاء سابقة، انطلقت التسمية المسيحية على المؤمنين بدين يسوع، الذين لم يُعرفوا قبلاً بهذه الصفة، بل كانوا يُعرفون في اليهودية ومحيطها باسم النصاري<sup>٣</sup>.

وسرعان ما غدت كنيسة أنطاكية أمّ كنائس الأمم، وكان بولس وغيره من الدعاة الأوائل للدين المسيحي، ينطلقون من أنطاكية للقيام بأعمالهم التبشيرية ثم يعودون إليها لرفع التقارير عن أعمالهم. وبعد أن دمر الرومان أورشليم سنة ٧٠م<sup>٤</sup> ودُمِّرَتْ بذلك الكنيسة الأمّ فيها، غدت أنطاكية العاصمة الوحيدة للعالم المسيحي<sup>٥</sup> واستمرت كذلك

---

١ - حتّى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ١: ٤١٢.

٢ - ذكر الأب إسحق أرملة في هذا الصدد في كتابه "القصارى في نكبات النصارى" ص ٣٧ - ٣٣، أنّ النصرانية ذاعت في بلاد ما بين النهرين منذ القرن الثاني للتجسد، وكنت الأرامية أو السريانية لغة المسيحيين الأولين فيها، وقد ورد في أخبار السلف ذكر أسقف: الرها، وأمد، وثلّ موزل، وكفرتوث، وماردين، ودارا، ونصيبين، وطور عبدين، ورس العين، وغيرها، وكتبوا بأجمعهم يراجعون لبطريك الأنطاكي.

٣ - راجع الجزء الثامن من هذه الموسوعة.

٤ - راجع الجزعين الثامن والتاسع من هذه الموسوعة.

٥ - حتّى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ١: ٣٧٠ - ٣٧١.

لعدة قرون. وكان قد أقبل المقيمون في أنطاكية، عاصمة الشرق، من يونانيين وثنيين، على اعتناق الدين الجديد، ما فتح المجال واسعاً أمام انتشار المسيحية في سائر المناطق القريبة. إلا أن هذه الانطلاقة المسيحية الواسعة، قد تأثرت سلباً بظاهرة لم تسلم منها أية دعوة أخرى ظافرة في تاريخ الإنسانية: نشوء الملل... والانقسامات.

وقد نشأ فرعان في الكنيسة السريانية ببداية عهدها، الأول هو الفرع الشرقي الذي اتبع نسطور NESTORIUS (نحو ٣٨٠ - ٤٥١) بطريرك القسطنطينية (٤٢٨) الذي قال بأقنومين في المسيح، وأنكر على مريم لقب أم الله، فحرمه مجمع أفسس سنة ٤٣١، وعُرف أتباعه بالنساطرة نسبة إليه، وسيأتي التعريف بكنيستهم، أما الفرع الغربي من الكنيسة السريانية، فهو الذي قال بالطبيعة الواحدة للمسيح، وهي الطبيعة الإلهية دون الطبيعة البشرية، ورفع العذراء إلى مراتب القديسين. وهم الذين لقبهم خصومهم اليونان باليعاقبة نسبة إلى أحد أنشط دعائهم يعقوب البرادعي أسقف الرها في أواسط القرن السادس. وكان هذا المذهب قد انتشر من سورية إلى أرمينية شمالاً، ومصر جنوباً، بينما راح أتباعه في سورية وبلاد ما بين النهرين بالتناقص منذ أن أصبح الإسلام القوة المسيطرة في هذه البلاد. ويذكر أحد مؤرخي الكنيسة السريانية الكاثوليكية أنه لما تهوّرت بلاد المشرق في بدعة الطبيعة الواحدة، استحوذ رؤساؤها على الأديار والكنائس وأقاموا لهم بطريركاً خصوصياً خلع الطاعة للبطريرك الأنطاكي الشرعي ... وجعل بطاركة السريان مقامهم في دير الزعفران منذ القرن الحادي عشر<sup>١</sup>.

---

١ - لرملة، القصارى في نكبات القصارى، ص ٣٢ - ٣٣.



حرّم المعتقد المونوفيزي المجمع المسكوني الرابع الذي انعقد سنة ٤٥١ في خلقيدونية، بحضور عدد كبير من الأساقفة الذين مثلوا كنائس الشرق والغرب، وبذلك أصبحت الكنيسة السريانية القائلة بالمشيئة الواحدة منشقة عن الكنيسة البيزنطية بفرعها الشرقي والغربي، وقد عرفت الكنائس التي اتبعت مقررات المجمع المذكور بالكنائس الخلقيدونية، نسبة إلى المكان الذي عقد فيه ذلك المجمع.

وكان الأمبراطور البيزنطي يوستينيانس الأول (٥٢٧ - ٥٦٥) قد حاول توطيد الأمبراطورية في السياسة والقانون، وخاصة في الدين، ومن أجل ذلك ضيق على الذين لم يخضعوا لمقررات المجمع الخلقيدوني إلى درجة حرمانهم حقوقهم المدنية. إلا أن المونوفيزيين قد استنّبوا من تلك التدابير لأن يوستينيانس أمل بإمكانية التفاهم معهم حول الدستور النيقاوي من خلال الإجهاد في بعض تفسيراته، علماً بأن المونوفيزيين كانوا قد نموا بشكل واسع في الأرجاء الشرقية للأمبراطورية وخاصة في مصر. إضافة إلى أن ثيودورة THEODORA، زوجة يوستينيانس التي كانت شديدة الزكاء والحزم والطموح، وقد ساعدت زوجها في شؤون الحكم وتدخلت بالسياسة عامة والدينية منها بشكل خاص، كانت مقتنعة بالعقيدة المونوفيزية، فتمكنت من إقناع زوجها الأمبراطور بالتساهل مع قادة الكنيسة المونوفيزية الذين راحوا ينظمون أنفسهم في أديار ورهبانيات. وتطالعا المدونات بذكر للرهبان المونوفيزيين في أخبار المجمع المسكوني الثالث الذي عقد في أفسس صيف ٤٤٩، حيث استعملوا العنف ضدّ خصمهم فلابيانس. ومن أخبار الرهبان المونوفيزيين السريان في فلسطين أنهم اتبعوا أفنوكية<sup>١</sup>

---

١ أفنوكية (EUDOXIE) (ت ٤٠٤): زوجة لركائس الأمبراطور البيزنطي، غضبت على يوحنا فم الذهب ونفته لأنه يتبع بمواعظه أهل البلاط البيزنطي على سيرتهم.

التي قالت بالطبيعة الواحدة، وكانت تتفق عليهم بمخاء. وكان قد أم فلسطين عدد كبير من النساك والرهبان الذين قالوا بالطبيعة الواحدة. وفي حوالي ٤٥١ أصبح هؤلاء الرهبان يشكلون الأكثرية في الشرق<sup>١</sup>، يوم كانت الكنيسة بأخبارها منقسمة مناصفة بين الأرثوذكسية والمونوفيزية. حتى أن أحد الرهبان: ثيودوسيوس، قد تزعم القول بالطبيعة الواحدة. وفي المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ ظهر عدد كبير من الرهبان الذين كانت تزعمهم أفدوكية، ويذكر مؤرخو الكنيسة البيزنطية أن هؤلاء الرهبان قد اغتاضوا لمقررات المجمع الذي حرم القول بالطبيعة الواحدة، فقبحوا وأنكروا وتمادوا في اللوم... وعندما عاد أسقف أورشليم يوبيلانيوس إلى أسقفية، حاصره الرهبان المعارضون لمقررات المجمع الخلقيدوني، وخيروه بين الموافقة على موقفهم من المجمع، أو الاستقالة والعزلة، فرفض. فأحاط الرهبان به من كل جانب وهدّوه بالقتل. وإذا تمكن من الفرار، إغاثوا سويريانوس أسقف بيسان... ما أدى إلى سيامة أساقفة على فلسطين يقولون بالطبيعة الواحدة<sup>٢</sup>. وعندما أرسل الإمبراطور ماركيانوس قوة عسكرية للاقتصاص من الرهبان، لجأ هؤلاء إلى العنف، فكانت معركة وقعت قرب نابلس سقط فيها عدد كبير منهم. أما الباقون فظلوا خاضعين لإرادة أفدوكية، ما اضطر روما على أن تتدخل لإنقاذ الوضع، فكتب البابا لاون الكبير إلى أفدوكية يحضنها على إنقاذ الرهبان من الضلال<sup>٣</sup>.

١ - راجع: ABEL F. M., *HISTOIRE DE LA PALESTINE*, PP. 334 - 340.

٢ - رستم، كنيسة مدينة الله لاطلكية العظمى، ج ١، ص ٢٥٤، بالاستناد إلى: BARDY G., *LUTTES CHRISTOLOGIQUES*, IV.

٣ - JAFFÉ WATTENBACH, *REGESTA*, 499.

وكما في فلسطين كذلك في وادي الفرات سار على أقواه النسك والرهبان القول بالطبيعة الواحدة. ومنهم راهب اسمه بطرس القصار، جاء إلى أنطاكية وألف مجموعة تمكن من خلالها من التوصل إلى سدة الأسقفية الأنطاكية<sup>١</sup>. إلا أن هذا العمل أوقع انقسامًا في أنطاكية بعد مشاكسات طويلة السيرة لبطرس المذكور الذي انتقل في ما بعد إلى مصر، وأحدث شرخًا مماثلًا في كنيسة دامت أكثر من خمس وثلاثين سنة. فدخلت كنائس الشرق في حالة فوضى درجت فيها سيامة أسقفين على كل كرسي، أحدهما أرثوذكسي والآخر مونوفيزي. وقد استمرت هذه الأحوال بعد موت بطرس.

## يعقوب

### البرادعي

في هذه الأجواء تمكنت المونوفيزية من كسب القسم الأكبر من سورية الشمالية قبل نهاية القرن الخامس، ويعود الفضل في نجاحها هذا بدرجة كبيرة إلى الأمبراطورة ثيودورة التي آوت الزعماء المونوفيزيين عندما دعت الظروف إلى ذلك، وعملت على تمكينهم من نشر معتقداتهم ومن الوصول إلى سدات الرئاسة الكنسية عندما أتاح لها الظرف مثل هذه الإمكانية. وعندما اتصل الأمير الغساني الحارث بن جبلة بثيودورة سنة ٥٤٣ ورجاها أن تعين أسقفًا يرعى شعبه، أحالت الأمبراطورة طلبه على ثيودوسيوس الإسكندري المونوفيزي الذي سام مونوفيزيًا على أساقفة البصري اسمه

---

١ - رستم، كنيسة مدينة الله، ١: ٣٤٩ بالاستناد إلى: THÉODORE LE LECTEUR, HIST. ECCL., I: 20 - 22

ثيودورُس، وسام أسقفًا على الرها ومترولينًا مسكونيًا إسمه يعقوب البرادعي". وبذلك بدأ الدور الفعال لهذا الأخير الذي اعتُبر المؤسس الحقيقي للكنيسة السريانية المونوفيزية التي حملت اسمه، فعُرفت بالكنيسة اليعقوبية.

ذُكر أسقف الرها (٥٤١ - ٥٧٠) يعقوب هذا، على أنه البردعي حينًا وعلى أنه البرادعي حينًا آخر، لكنّ الثابت - إن قسّ إسمه ثيوفيلُس بن معنو من تلّ موزل، إنتقل إلى القسطنطينية سنة ٥٢٨ بعد أن ترهّب في دير فسيلتا القريب من مسقط رأسه، وأجاد السريانية واليونانية<sup>١</sup>.

لا نعلم حقيقة الدافع الذي جعل هذا الرجل يتحمّس للمونوفيزية بالشكل الذي تحمّس فيه. بيد أن بعض المراجع يفيد عن أنه "كان ورعًا طاهرًا مجاهدًا رسولياً من نخبة النساك الصوامين القوامين ذوي الصلاح والدين المتين"<sup>٢</sup>. والواقع أن يعقوب هذا، بعد تروّسه أسقفية الرها، راح يطوف الأرجاء مشجعًا على اعتناق المونوفيزية، مؤسسًا الكنائس لهذا المعتقد حيث طالت يده. ومما يُروى عنه "أنه سام في رحلاته العديدة سبعة وعشرين أسقفًا وبضعة آلاف شماس وقسّ، وأنه زار مصر ورسم فيها اثني عشر أسقفًا. وشملت رحلاته آسية الصغرة وسورية وما بين النهرين وفارس ومصر وقبرص وروندوس والعديد من الجزر. وكان حيث لا يستطيع أن يحول المعتقد، في مجتمع صغير، إلى المونوفيزية، يلجأ إلى سيامة أسقف مونوفيزي في مواجهة الأسقف الأرثوذكسي، فيصبح، في الأسقفية الواحدة، أسقفان. وأقام على

---

١ - راجع: برصوم البطريرك اغناطيوس افرام الأول، كتاب اللؤلؤ المنشور في تاريخ العلوم والأدب السريانية، ص ٢٦٠ - ٢٦١.

٢ - للمرجع السابق.

هذه الحال خمسًا وثلاثين سنة، فاعتُبر بحقّ أحد مؤسسي الكنيسة السريانية التي نُسبت إليه، فعُرفت باليعقوبية<sup>١</sup>. وهكذا انتشرت اليعقوبية في الأوساط العربية التي اعتنقت المسيحية. وفي وقت قصير أصبح القسم الغربي من الكنيسة السورية منفصلاً تماماً عن القسم الشرقي. وامتدّ مذهب الطبيعة الواحدة من هذه المنطقة إلى أرمينية شمالاً، حيث لا يزال الأرمن حتّى اليوم على هذا المعتقد، وإلى مصر جنوباً، حيث الأقباط المونوفيزيون لا يزالون. وفي وقت من الأوقات أصبحت المونوفيزية مهيمنة على القسم الأكبر من شعوب هذه المناطق. ولم تنفع محاولات الأباطرة للحدّ من انتشار هذا المبدأ المناهض للعقيدة الكنسية البيزنطية في وقف زخم التيار الجارف الذي اكتسح الشرق المسيحيّ قبل أن يكتسحه الفرس أعداء المسيحية.

## المونوفيزية السريانية قبل الإسلام

في هذه الأثناء، وفي سعيه لإيجاد التفاهم بين شطري الكنيسة، دعا الإمبراطور يوستينيانوس إلى مجمع كنسيّ عُقد في القسطنطينية سنة ٥٢٣ بحضور أساقفة من الفتنين. فنتج من ذلك المجمع اتفاق الطرفين على شجب أوطيخة الذي تملأ في التركيز على الطبيعة الإلهية في المسيح، معتبراً أنّ الطبيعة الإنسانية فيه، ليست سوى نقطة خمر وقعت في بحر ماء، فامتزجت فيه<sup>٢</sup>. إلّا أنّهم اختلفوا حول "طبيعة" المسيح.

---

١ - راجع: رستم، كنيسة مدينة الله، ١: ٣٧٧ - ٣٧٨ بالاستناد إلى NICEPHORUS CALISTUS, *HIST. ECCL.* XVIII: 52.

٢ - راجع الجزء التاسع من هذه الموسوعة.

فقال ممثلو الكنيسة البيزنطية بالطبيعتين للمسيح، بينما قال المونوفيزيون، مصريّين، بالطبيعة الواحدة<sup>١</sup>. وإذ حاول الأمبراطور، بعد فشل هذا المجمع، أن يجد اجتهداً من أجل توحيد الكنيسة، إلا أنه ليس فقط لم يوفق إلى غايته، بل أدت اجتهاداته إلى إغضاب الطرفين<sup>٢</sup>. بينما راحت ثيودورة تعمل بكل ما أوتيت من سلطة ومقدرة على مساعدة المونوفيزيين من أجل السيطرة على المراكز الحساسة في الكنيسة، فتمكّنت بذلك من إيصال بطريرك على القسطنطينية يقول سراً بالطبيعة الواحدة بعد وفاة البطريرك إبيفانوس سنة ٥٣٥<sup>٣</sup>. أمّا ذلك البطريرك فكان أنثيموس أسقف طرابزون المدينة الواقعة في أرمينية التركية على البحر الأسود، الذي كان يتظاهر بالأرثوذكسية ويُبطن القول بالطبيعة الواحدة إلى أن تَبَوَّأ كرسى البطريركية. أمام هذا الواقع، انتقل البابا أغابيتوس (بابا روما ٥٣٥ - ٥٣٦) إلى القسطنطينية فوصلها في الثاني من شباط (فبراير) ٥٣٦، وسرعان ما دعا الأساقفة ومقّمي الكهنة فيها إلى مجمع محليّ برئاسة تمّ فيه قطع أنثيموس ومن شاركه رأيه، ثمّ انتخب الإكليروس والأمبراطور والشعب الأسقف ميناس بطريركاً على القسطنطينية، إثر ذلك لجأ أنثيموس إلى القصر الأمبراطوري واختبأ فيه بحماية سيّدته طوال اثنتي عشرة سنة. وفي الثاني من أيار (مايو) ٥٣٦ التأم مجمع في القسطنطينية برئاسة البطريرك ميناس بطريرك القسطنطينية وعضوية أساقفة الكرسيّ القسطنطينيّ وأساقفة الوفد الرومانيّ ووكيليّ بطريرك أنطاكية وطريرك أورشليم، وقد جرّد ذلك المجمع أنثيموس غائباً من

١ - HEFELÉ - LECLERCQ, *HISTOIRE DES CONCILES*, II: 1120 - 1125.

٢ - راجع الجزء التاسع من هذه الموسوعة.

٣ - رستم، كنيسة مدينة الله، ١: ٣٧٦ - ٣٧٧ بالاستناد إلى: BRÉHIER L., *POLITIQUE RELIGIEUSE DE JUSTINIEN*, IV: 456.

صلاحيّاته الروحيّة بما في ذلك صلاحيّات الكهنوت وخُلع وقُطع نهائيّاً، كما قُطع ذلك المجمع أساقفة ورجال دين آخرين كانوا يقولون بالطبيعة الواحدة، ومنهم سويرُس الأنطاكيّ المونوفيزيّ الذي قطعه المجمع وأمر بحرق مصنّفاته. قبل ذلك التاريخ، وتحديدًا في العام ٥٣١، كان البطريرك الأنطاكيّ أفرامْيوس قد قام، مدعومًا من قِبَل الأمبراطور يوستينيّانُس، يطالب بنفي كلّ مَنْ قال بالطبيعة الواحدة في أنطاكية، فكانت ردّة فعل العوام عنيفة، ما أوجب تدخّل السلطات وحصول أحداث دامية مؤلمة. وما أن صدر قرار المجمع القسطنطينيّ بقطع سويرُس وحرق مصنّفاته حتّى هبّ أفرامْيوس ينفذ ذلك القرار بالشدّة التي عُرِف بها<sup>١</sup>.

ويَتَضَح من مراجعات الإحداثيّات أنّ ملاحقة المونوفيزيّين قد استمرّت في عهد يوستينيّانُس الأوّل حتّى وفاته سنة ٥٦٥. بيد أنّ خلفه طيباريُس قد اتّبع سياسة متوازنة تجاه الفرقاء، فأوقف تلك الملاحقة للمونوفيزيّين. وقد اتّبع موريقيُس، الذي خلف طيباريُس على سدة الأمبراطوريّة طوال عشرين سنة (٥٨٢ - ٦٠٢)، سياسة سلفه في موقفه التوفّقيّ من الكنيسة، والمقول إنّهُ حافظ على أرثوذكسيّته دون أن يتطرّف أو أن يضيّق على المونوفيزيّين وغيرهم، وقد أورد بعض المراجع أنّ القتالين بالمشيئة الواحدة قد جعلوا من هذا الأمبراطور قديسًا<sup>٢</sup>.

ولكنّ الأمبراطور فوكاس الملقّب بالفقّاس الذي كان قائدًا للجيش واغتصب الملك في العام ٦٠٢ بقتله الأمبراطور موريقيُس MAURIKIUS (٥٨٢ - ٦٠٢) الذي كان في

---

١ - رستم، مدينة الله، ١: ٣٧٤.

٢ - LÉGENDE SYRIQUE DE MAURICE, PATR., ORIENT., V: 773.

حال حرب مع الفرس والسلافيين، قد ضيق على اليعاقبة المونوفيزيين الذين فرّ رؤساء كنيستهم إلى أماكن قصية. وعندما حاول القاتلون بالطبيعة الواحدة الاجتماع في إحدى كنائس أنطاكية، فرقهم العسكر بالقوة، فسقط منهم ضحايا عديدون. ولمّا استقبل البطريك الأنطاكي بطريرك الأقباط المونوفيزي في العام ٦٠٨، أرسل الأمبراطور قوة عسكرية أمر قائدها بفض الاجتماع. وإذ حاول المونوفيزيون مواجهة تلك القوة، حصنت سيوف الجنود مئات الرؤوس في مجزرة بشعة من مجازر الإرهاب السلطوي في التاريخ<sup>١</sup>.

في الوقت نفسه كان اليهود في حال تنازع مع السريان المونوفيزيين، ويروي بعض المؤرخين عن أحداث شنيعة وقعت بين الطرفين في ذلك العهد المظلم من التاريخ<sup>٢</sup>. ومن الثابت أن يهود أنطاكية قد استغلوا الصراعات الداخلية التي كانت قائمة بين الفرق المسيحية، كما استغلوا الوضع الخارجي للأمبراطورية الناشئ عن دخول الفرس إلى بعض المناطق السورية، فتمكنوا من قتل العديد من المسيحيين وأعدموا بعض كبار رجال الدين منهم<sup>٣</sup>.

ولكن احتلال الفرس هذه المنطقة في حوالي العام ٦١٤ قد أدى إلى تنشيط المونوفيزيين السريان وكلّ من قال بالطبيعة الواحدة. وعندما جلا الفرس بموجب معاهدة الصلح سنة ٦٢٨ وعادت السلطة البيزنطية إلى مكانتها، عاد الصراع بين الكنيستين، وأضيف إلى طرفيه طرف ثالث، هو القاتل بالمشيئة الواحدة.

---

١ - راجع: MICHEL LE SYRIEN, II: 375 - 376.

٢ - BRÉHIER L., *ROME ET CONSTANTINOPLE*, FLICHE ET MARTIN, V: 74 - 75.

٣ - THÉOPHANES A., 6101 - ٣



## بعد الفتح الإسلامي

بمراقبة تطورات الصراعات الفكرية والدينية في منطقة الشرق الأوسط وتحليلها عشية دخول الإسلام إليها، ليس بوسع الباحث ألا يتلمس أن نزعة قومية قد رافقت تلك الصراعات العقائدية. ذلك أن الفرق المسيحية، أو الكنائس التي ناهضت الأمبراطور، كان قادتها من أهل البلاد الأصليين دون سواهم. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أنه في تلك الحقبة من التاريخ، يوم لم يكن من أحزاب ولا وسيطات سياسية داخل الدولة، كانت الزعامة أو القيادة مقتصرة على رجال الدين، وإنا نرى في نشوء تلك الكنائس المحلية نوعاً من الوطنية أو القومية في مواجهة البيزنط. ويتعزز رأينا هذا عندما نجد أن أكثر أهل البلاد الأصليين من عرب ومصريين وفارسيين ممن اعتنقوا المسيحية في ذلك العصر، لم يخضعوا للكنيسة البيزنطية، بل ساروا مع بطاركة وأساقفة ورجال دين ناهضوا الأمبراطور من خلال المعتقد الديني، ربما لأنه لم يكن بالإمكان السير بغير تلك المقولة يومذاك. وهكذا نجد أن الكنائس "القومية"، إذا صح التعبير، قد انتعشت لما غلبت فارس بيزنطية وإن إلى حين. كما نجد أن القبائل العربية التي اعتنقت المسيحية قبل الإسلام، قد اتبعت الكنائس القائلة بالطبيعة الواحدة. مرد ذلك، تبعاً لمقولتنا، هو عدم السير في الخط البيزنطي في مواجهة أخبار من أهل البلاد.

من أولئك الشعوب، إضافة إلى السريان، المصريون الذين أنشأوا الكنيسة القبطية، والغساسنة، أو آل جفنة، وهم من السلالة العربية اليمنية الأصل التي هجرت بلادها عند انفجار سد مأرب في القرن الثالث واستوطنت بلاد حوران وشرق الأردن وفينيقية اللبنانية وفلسطين الثانية والثالثة قبل الإسلام. وفي حوران صاندفوا سكاناً من العرب أتوا قبلهم وهم: الضجاعم، من قبيلة سليم، فتغلبوا عليهم وحلوا مكانهم كحكام على المنطقة في ظل السيادة الرومانية.

ومع أن الغساسنة قد عملوا في الجيش البيزنطي وعُهد إليهم حماية الحدود السورية، فإنهم قد اعتنقوا المسيحية المونوفيزية في نهاية القرن الثالث، وكانوا عند ظهور الإسلام من أهم القبائل العربية المنتصرة. فقد غادر جدود الغساسنة اليمن على أثر حدوث سيل العرم نحو سنة ١٢٠، فأقبلوا إلى تخوم دمشق وسكنوا بلاد حوران وبادية الشام<sup>١</sup>، ونزلوا على ماء يُقال له "غسان" فصيروه شربهم وتسموا "غسان" باسمه. وكانوا يدينون بالنصرانية<sup>٢</sup>. ثم اتخذوا الجابية في جولان عاصمة لدولتهم التي امتدت بين دمشق وتدمر<sup>٣</sup> أو بين دمشق والرصافة على شاطئ الفرات<sup>٤</sup>. وابتدوا كنائس في حوران واللجاء والصفاء وضموا إليها عدة أديار<sup>٥</sup>. وينكر مؤرخون سريان أنه مما لا شك فيه أن العرب الغساسنة لما بلغوا حوران وبادية الشام لاقوا فيها سكاناً آراميين يتكلمون بالآرامية السريانية فامتزجوا بهم وتلقنوا لغتهم. وظل سكان تلك الأنحاء مونوفيزيين وملكيين يستعملون اللسان السرياني في كنائسهم ومنازلهم. وقد أثبت ذلك بطريرك الملكيين مكاريوس الثالث (١٦٤٧ - ١٦٧٢) المعروف بابن الزعيم في تقريره سنة ١٦٧١ عن بدعة الكلونيين<sup>٦</sup>. وقد برز من مشاهير أساقفة الغساسنة المونوفيزيين: بطرس أسقف العرب، فالغ أسقف قبيلة المنذر، توما أسقف يبرود،

١ - دي طركزي لفوكونت فيليب، لصدق ما كان عن تاريخ لبنان (بيروت، ١٩٤٨) ٢: ٦، عن: شرح مجالي الأديب، ١: ٥١٣.

٢ - دي طركزي، لصدق ما كان، ٢: ٦، عن: شرح مجالي الأديب، ٣: ٣١٢، نقلاً عن حمزة الأصبهاني.

٣ - طركزي، لصدق ما كان، ٢: ٦، عن: المشرق، م، ٣، ص ١٩٠٠، ص ٢٧٣، ٤٤١.

٤ - المجلة البطريركية السريانية في القدس، م، ٥، ص ١٩٢٨، ص ٢٦٦ - ٢٦٨.

٥ - المشرق، م، ١٠، ص ١٩٠٨، ص ٥٢٤.

٦ - طركزي، لصدق ما كان، ٢: ٦ - ٧ عن سجل المخطوطات العربية في مكتبة باريس الأهلية رقم ٢٢٤.

يوحنا أسقف تدمر، يوحنا أسقف حوّاوين وغيرهم. وهؤلاء قد خالفوا تعاليم المجمع الخلقيدوني سنة ٤٥١ وأصروا، مع أربعين أسقفًا، على القول بطبيعة واحدة في المسيح<sup>١</sup>. كما اشتهر منهم في القرن السابع يوحنا أسقف بصرى في حوران وقد أنشأ نافورًا باسمه<sup>٢</sup>. وقد أورد المؤرخ السرياني الفيكونت فيليب دي طرازي أسماء سلسلة أساقفة غساسنة مونوفيزيين في مناطق حوران بين العام ٧٩٣ والعام ١١٣٧. كما أورد سلسلة مماثلة لأساقفة عرب مونوفيزيين تبوأوا كرسي الرصافة بين ٧٩٣ و٩٨١. وسلسلة تعود إلى الحقبة الواقعة بين ٧٩٣ و١٢٠٠ لأساقفة الرقة الواقعة على شاطئ نهر الفرات التي كان فيها كرسي متروبوليتي حيث احتفل الأساقفة بسيامة بعض البطارقة السريان ومنهم ديونيسيوس التلمحري (٨١٨ - ٨٤٥)، وذكر من أساقفة الرقة بولس العلامة الكبير الذي نقل إلى السريانية كتبًا ذات شأن في القرن السادس أخصّها تأليف البطريرك سويرا الأنطاكي (٥١٢ - ٥١٨) وخطبه<sup>٣</sup>.

وهناك أساقفة آخرون ذكرهم ميخائيل الكبير في لائحته واحدًا فواحدًا بعنوان "أسقف العرب" كانوا يرعون نفوس القبائل العربية في بلاد حوران وتغلب وسواهما. فكانوا يتنقلون مع العرب الرحّل في ترحالهم، من هؤلاء شمعون رئيس دير زكي وهو الثاني والخمسون بين أساقفة البطريرك قرياقس، ثم يوحنا وخلفه ابراهيم اللذين نصبهما ديونيسيوس التلمحري للعرب الرحّل. وكان أساقفة السريان في براري قبائل

١ - طرازي، لصدق ما كان، ٢: ١٠، عن: تاريخ ميخائيل الكبير، ص ٢٧٤ - ٣١٠، وابن الحري، التاريخ البيعي، ج ١.

٢ - طرازي، لصدق ما كان، ٢: ١٠، عن: لشرق، م ١، ص ١٨٩٨، ص ٦٣١؛ ودلود المطران يوسف، القسري، ص ٣٤.

٣ - طرازي، لصدق ما كان، ٢: ١٠ - ١٥.

تغلب العربية يقرّبون القدّاس مترجمًا إلى العربية عن الأصل السرياني. وقد ذكر الشيخ يحيى بن جرير التكريتي السرياني (ت ١٠٧٩)، من كتّبة القرن الحادي عشر، في كتابه "المرشد" أنه كان في العرب نصارى كبنى تغلب وقوم من اليمن وغيرهم ومعهم أسقف يطوف معهم في سفرهم وينقل المنبح من موضع إلى موضع إلى سنة ثلاثمائة للعرب (٩١٢م) فوصل إلى تكريت قوم من العرب النصارى وابتاعوا لهم ميرة ليمتازوا بها، فقلّد أحدهم المطران تكريت الأسقفية، وكان يقدّس لهم باللفظ العربي على الإنجيل<sup>١</sup>.

يظهر جليًا من خلال التدقيق في فصول الفتح العربي الإسلامي للمدن السورية، أنّ الأهالي الأصليين لتلك المدن، وهم من الشعوب السامية، قد وجدوا في القادمين المسلمين ما أمكن اعتباره نوعًا من القربى، قياسًا إلى أجنبيّة البيزنطيين. حتّى أنّ بعض الباحثين خلص إلى أنّ الدمشقيين لم يروا في الإسلام غير شيعة مسيحية منشقة، أمّلوا في أن ينالوا معها مزيدًا من الحرية<sup>٢</sup>. وهكذا نفهم كيف أنّه في خلال سنتي ٦٣٧ - ٦٣٨ استسلم للفاحين المسلمين، دون معارك، كلّ من بعلبك وحمص وحمّاه وحبّ وأنطاكية والمدن الفينيقيّة على الساحل اللبّاني. وألحقت جميع هذه المدن بالحاكم العسكري في دمشق: يزيد بن أبي سفيان. أمّا القدس وقيساريّة في الجنوب، اللتان اصطبغتًا بالصبغة الهلّينيّة، فقد حاولتا المقاومة، وصمدت القدس حتّى سنة ٦٣٨ وقيساريّة حتّى سنة ٦٤٠.

١ - طرّزي، لسنق ما كان، ٢: ١٥.

٢ - ELISSÉEF, ENCYCLOPÉDIE DE L'ISLAM, DIMASHK, II: 288.

وتُجمع المراجع التاريخية على أنه عندما انهزم هرقل بجيوشه إلى القسطنطينية، أي إلى بلاد الروم، تبعه أكثر الملكيين الذين هم من أصول رومانية وإغريقية، بينما لم يكن بوسع أهل البلاد الأصليين النزوح بهذه السهولة، فوجد الملكيون منهم أنفسهم في وضع صعب للغاية. بينما تمتّع غير الملكيين، وهم القائلون بالمونوفيزية، تمتّعوا بامتيازات نسبية على سائر المسيحيين. وبذلك يبدأ فصل جديد من التحول الديني في الشرق، إن بالنسبة للمعتد المسيحي، أم بالنسبة لمصير المسيحية ككل.

قبل نهاية ولاية ثاني الخلفاء الراشدين: عمر بن الخطاب في العام ٦٤٤، كانت الجيوش الإسلامية قد أطبقت على الأمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية في الشرق. وفي سنة ٦٤٠ تم الاستيلاء على مصر التي كانت القبطية القائلة بالمونوفيزية منتشرة في ربوعها انتشاراً سائداً، فدخل الأقباط، منذ ذلك التاريخ، في الذمّة، وغادر مصر معظم الأروام، ولقد كان لهذا الفتح فعل تحول أساسي في المسار الديني لمصر وأفريقية عامّة، إذ سوف يتحول العديد من أهلها من المسيحية المونوفيزية إلى الإسلام.

قبل نهاية عهد الخلفاء الراشدين (٦٣٢ - ٦٥٦) وبداية العهد الأموي، كانت السيطرة الإسلامية قد سادت منطقة الشرق الأوسط برمتها، أمّا العهد الأموي (٦٦١ - ٧٤٤) فقد ثبت الدين الجديد فيها بعد أن استوعب حضاراتها، حصل بذلك نوع من التمازج بين الحضارتين. وفي هذه الدولة العربية الإسلامية التي اتخذت من مدينة دمشق عاصمة لها، قام سكان هذه المدينة، الآراميون - السريان بلغتهم، والمسيحيون بدينهم، بدور نافذ في إدارة مصالح الدولة خلال عهد الخلفاء الأمويين الأوائل. وكانت دواوين الدولة غاصّة بالكتابة المسيحيين، وكانت لغتها اليونانية. وبقي المسيحيون يسيطرون في البلاط الأموي حتى خلافة عبد الملك بن مروان (٦٨٥ - ٧٠٥) الذي

أحلّ اللغة العربية لغة رسمية في دوائر الدولة بعد أكثر من ستين سنة على بدء السيادة العربية الإسلامية<sup>١</sup>. وما من شك على الإطلاق في أن أكثر الكنائس الواقعة ضمن المنطقة التي سيطر عليها المسلمون في تلك الحقبة كان يقول بالمونوفيزية. وكان بطاركة كنيسة أنطاكية البيزنطية قد انتقلوا إلى القسطنطينية، بسبب السيطرة الإسلامية على أنطاكية.

وبالرغم من اتخاذ الخلفاء الأمويين لدمشق عاصمة لحكمهم ولدولتهم، فقد بقيت سورية وجوارها حتى زوال الدولة الأموية مسيحية بأكثرية سكّانها. وقد قدر عدد السكّان في سورية سنة ٧٢٢ بأربعة ملايين نسمة، لم يكن عدد المسلمين منهم يزيد على المائتي ألف فحسب، وكانت اللغة المستعملة في الأوساط الشعبية عامّة هي السريانية<sup>٢</sup>.

ويُتضح لنا من المراجعات أن وضع الكنيسة السريانية المونوفيزية في نهاية العهد الأموي لم يكن سيئاً، على عكس سائر الكنائس. وتطالعنا المراجع بأن الخليفة الوليد الثاني (٧٤٣ - ٧٤٤) قد غضب على قادة الكنيسة الذين تخاصموا وتغالبا في المناظرة بينهم وبين علماء المسلمين" فأمر بقطع لسان البطريرك الأنطاكي إسطفانس الذي انتخب في عهد هشام، وبقطع لسان متروبوليت دمشق بطرس، ولم ينج من الآباء الكبار سوى المونوفيزيين، وأصحاب الرأي الممتقيين البعيدين عن يد الخليفة، ومنهم الذين كانوا يتخذون من الجبال اللبنانية معقلاً لهم.

---

١ - بولس جواد، التحولات الكبيرة في تاريخ الشرق الأدنى منذ الإسلام، دار عودة (بيروت، لا ت) ص ١٠٧.

٢ - CALLOT J. P., SYRIE, ENCYCLOPEDIA UNIVERSALIS, 15: 672.

في عهد العباسيين (٦٣٦ - ١٢٥٠) عانت الكنيسة السريانية كما سواها من كنائس الشرق مما فرضه العباسيون من تدابير صارمة على أهل النمة. ولم يكن تقريب بعض الشخصيات المسيحية من بلاط الخلفاء، ليعوض، أنى تعويض، عن التشدد الذي مارسه بعض الخلفاء العباسيين ضد المسيحية. وأبرز هؤلاء المهدي (٧٧٥ - ٧٨٥) الذي أمر بتقويض الكنائس التي ابتناها المسيحيون في عهد العرب، وأجبر التّوحيين المسيحيين المونوفيزيين في حلب سنة ٧٧٩ على اتّباع الإسلام. وحذا حذوه الخليفة العباسي الخامس هارون الرشيد (٧٨٦ - ٨٠٩) الذي أمر سنة ٨٠٧ بهدم جميع الكنائس التي كانت قد بُنيت قبل الفتح الإسلامي. أمّا الخليفة العباسي العاشر: المتوكّل (٨٢١ - ٨٦١) فقد أعاد شرعة التمييز عن طريق إحياء الإجراءات العمريّة التي اتّبعها بتدابير جديدة، كانت أشدّ ما فرض بحقّ الأقليات على الإطلاق، وكانت نتيجة هذه التشريعات وقوع تعذّيات عديدة على المسيحيين، منها الفتنة التي وقعت في حمص، بين النصاري والمسلمين سنة ٨٥٥، وقُمت بضرب أعناق قادتها الذين جُلّوا حتّى الموت، وصلّوا على أبواب المدينة. ثمّ هُدمت جميع الكنائس إلّا تلك التي ضُمّت إلى المسجد الكبير، وأبعد جميع المسيحيين عن المدينة الهانجة، وقد كان سواد سكّانها، على ما يبدو، من المسيحيين<sup>١</sup>.

هذا التشدد، أدّى إلى لجوء الكثيرين من وجهاء المسيحيين إلى المهاجرة من سوريا والعراق نحو آسية الصغرى وجزيرة قبرص وجبال لبنان حيث أنشأوا البيع والأديار والكنائس، بينما أوى عدد كبير من الأسر المسيحية في سورية إلى دين

١ - حتّى، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ٢: ١٦٨ - ١٦٩، بالاستناد إلى: الطبري، ٣: ١٢٨٩ - ١٣٩٣، ١٤٧٢ - ١٤٧٤؛ ابن الأثير،

٢: ٦٠؛ الطبري، ٢: ٥٩٩؛ الجليلي، ١: ٧٩، من ٢٨.

الإسلام تفادياً للتدابير المذلة والضرائب الفاحشة، وحرصاً على الكرامة الاجتماعية والنفوذ السياسي. وجاء في بعض المراجع أنّ حركة التخلّي عن الإيمان المسيحي قد تفاقمت عندما تمتّ معاملة جميع المسيحيين، دون تمييز على أنّهم كفّار<sup>١</sup>. وعلى مرّ التاريخ، عانى أتباع هذه الكنيسة ما عاناه سائر المسيحيين من إذلال واضطهاد، على الرغم من اعتراف الخلفاء بطائفتهم. إلّا أنّ السريان قد بلغوا في هذه الحقبة عصرهم الذهبي في العلم والثقافة، يترجمون ويشرحون، وينقلون من اليونانية إلى السريانية مبادئ الفلسفة اليونانية وكتبها. وقد أسسوا مدارس ومراكز علمية عديدة مثل مدرسة نصيبين والرها وحران وغيرها. أضف إلى ذلك ما كان لهم من تأثير في مدرسة الحكمة ببغداد.

## من السريانية

## إلى العربية

في هذه الحقبة، بدأت اللغة العربية تحلّ محلّ اللغة السريانية في البلاد السورية، ومحلّ اللغة القبطية في مصر. ولم تُعرف أية مؤلفات للمسيحيين السوريين باللغة العربية قبل نهاية القرن السابع. وأقدم مؤلف معروف من هذا النوع، مخطوط محفوظ في المتحف البريطاني ألفه ثيودورس أبو قرّة المتوفّي سنة ٢٨٢٠.

---

١ - JANIN, *LES ÉGLISES SÉPARÉES D'ORIENT* (BLOUD ET GAY, 1930) P. 156.

٢ - راجع: ABU KURRA THEODORUS, *DE CULTU IMAGINUM*, ED., AND TRANS. I. ARENDZEN (BONN, 1897).



كان ثيودورُس هذا أسقفًا ملكانيًا في حرّان. وإذا كان الملكيون قد بكروا، نسيبًا، في اعتماد العربية، فإنّ أكثر الكنائس السريانيّة الكبرى، ومنها المارونيّة واليعقوبيّة والنسطوريّة، قد حافظت على اللغة السريانيّة إلى ما بعد العباسيين. وفي العراق بقي الكلدان على لغتهم<sup>١</sup>.

ويُجمع المدقّقون في مسار التطوّر التاريخي للشرق العربيّ، على أنّ تلك الشعوب المسيحيّة، التي كانت تنطق بالسريانيّة، كان لها فضل عميم على اليقظة العربيّة ونهضة العرب الفكريّة، خاصّة في حقبة الخلافة العبّاسيّة، التي غدت مفخرة العصر الإسلاميّ القديم لناحية الفكر والحضارة. فبين منتصف القرن الثامن ومنتصف القرن التاسع، شهد العالم العربيّ حركة ثقافيّة قلّما عرفها شعب بخلافه خلال قرن. وكان من أبرز عناصر تلك الحركة، ترجمة أهمّ المؤلفات التي كتبت باليونانيّة والفارسيّة والسريانيّة إلى العربيّة، ممّا أوجد للعربيّ القادم من الصحراء والمتعطّش إلى معرفة، زادًا دسمًا من موادّ الفنّ والفلسفة والعلوم. وكان السريان، وهم من المسيحيّين، الوسطاء، بين الفكر اليونانيّ والعرب، وقد توسّلوا الترجمة للقيام بهذه الوساطة خير قيام. ذلك أنّهم كانوا قد عايشوا اليونان ألف سنة ونيف، وامتزجت معارفهم بمعارف أولئك، وكذلك المدارس. فإنّ مدرسة أنطاكية كانت تستعمل اللغتين اليونانيّة والسريانيّة، وكان السريان من أهل البلاد يجيدون اليونانيّة إذا كانوا من أهل المدن، أي أنّهم كانوا مزدوجي اللغة. وكان علماؤهم قد نقلوا إلى السريانيّة أبرز مؤلّفات اليونان قبل الفتح العربيّ، وها هم في زمن العبّاسيين يجهدون في ترجمة تلك المؤلّفات إلى العربيّة،

---

١ - راجع: حتّي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ٢: ١٧١.

بعدما كانوا قد نقلوها إلى الفارسية يوم كانت مدرسة الإسكندرية ناشطة وكان الفرس يحتلون مصر وجزءاً من الهلال الخصيب.

وهكذا وجد العرب بين أيديهم مؤلفات أرسطو وسقراط وأفلاطون وجالينوس وأقليدس وبطليمس وفرخوريوس، فأصبح، في متناول فكرهم، الفلسفة واللاهوت والطب والفلك. حتى أن بعض المسيحيين السريان قد تسنم في العهد العباسي مناصب هامة نظراً لما كان يتمتع به هؤلاء من علم ومعرفة، وقد اشتهر من بين هؤلاء بختيشوع المتوفي في بداية القرن التاسع، والذي كان رئيس الأطباء في مصح بغداد في عهد هارون الرشيد. وكان المنصور قد استدعى جرجيس، والد بختيشوع من جنديشاپور، حيث كان عميداً لمعهد الطب الذي أنشأه كسرى أنو شروان. وعندما مثل جرجيس أمام الخليفة وقام بالمهمة الطبية التي طلبها منه، أعجب به المنصور وعرض عليه الدخول في الإسلام، إلا أن جرجيس بقي متمسكاً بدين آباءه وأجداده<sup>١</sup>.

وقد أعطت الكنيسة السريانية المونوفيزية، العربية في تلك الحقبة، رهطاً من العلماء والمترجمين، أبرزهم قسطا بن لوقا البعلبكي، وتوفيل الرهاوي الماروني، ويحيى بن عدي.

كان قسطا بن لوقا البعلبكي (٨٢٠ - ٩١٢) طبيباً وفيلسوفاً مسيحياً سريانياً. نقل إلى العربية مؤلفات اليونان واشتغل في صنع الآلات الفلكية. وقد خلّفته مؤلفات عديدة منها: "المرايا المحرقة" و"الفلاحة اليونانية" و"رسالة في الفرق بين الروح والنفس". وقد تُرجمت مؤلفاته إلى اللاتينية في القرون الوسطى. وكان قسطا "يرحل إلى بلاد الروم

---

١ - القلي، تاريخ الحكماء، (بيروت، ١٩٠٣) ص ١٥٨؛ ابن الجري، نشر برنز وكيرتش (بيروت، ١٧٨٩) ص ٢١٣.

في طلب الكتب، ويعكف على الإشتغال بها في بغداد. وقد أدركته الوفاة في أرمينية بعد أن خلف ٦٩ مؤلفاً موضوعاً و١٧ كتاباً مترجماً. وأقيم له في مكان وفاته مدفن تذكاري<sup>١</sup>. أما يحيى بن عدي، فهو المعروف بأبي زكريا المنطقي (٨٩٣ - ٩٧٤) وهو فيلسوف مسيحي من تكريت، بين الموصل وبغداد. تتلمذ على أيدي أبي بشر متى والفارابي. نقل إلى العربية هو الآخر العديد من كتب اليونان، منها كتاب "النفس" لأرسطو، وله مؤلفات أدبية وفلسفية ولاهوتية عديدة.

وهكذا نجد أن نتاج الفكر المسيحي السرياني قد تحول في العصر العباسي إلى نتاج عربي، مما فتح للإسلام باباً واسعاً إلى العالم الرحب الذي كانت تحجبه الصحراء عن مدارك العرب.

---

١ - حنّي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ٢: ١٧٧ بالاستناد إلى: فهرست، ص ٢٩٥؛ القسلي، ص ٢٦٢ - ٢٦٣؛ GABRIELI G.,

IN: *RENDICONTI DELLA REALE ACCADEMIA DEI LINGUISTI*, SER. 5, VOL. XXI, (ROME, 1912) PP. 361- 382.



# إِنتِشَارُ الْكَنِيسَةِ السَّرِّيَّاتِ الْمُونُوفِيَّةِ

إِنتِشَارُ الْكَنِيسَةِ السَّرِّيَّاتِ الْمُونُوفِيَّةِ؛

فِي الْحَقْبَةِ الصَّلِيَّةِ؛

تَشَتُّ السَّرِّيَّانِ؛

الْكَنِيسَةُ السَّرِّيَّاتِ الْأَرْتُذُوكْسِيَّةِ (الْمُونُوفِيَّةِ) الْيَوْمَ.



# إِنتِشَارُ الْكَنِيسَةِ السَّرِّيَّاتِ الْمُونُوفِيَّةِ

يَتَضَحُّ مِنْ مُتَابَعَةِ تَارِيخِ الْكَنِيسَةِ السَّرِّيَّاتِ الْمُونُوفِيَّةِ أَنَّهَا حَقَّقَتْ إِنتِشَارًا وَاسِعًا فِي الْأَصْقَاعِ الْمُمْتَدَّةِ مِنْ سَوَاحِلِ لُبْنَانَ إِلَى بِلَادِ فَارَسَ وَالْهِنْدِ. وَتَسْلَسِلُ فِيهَا الْأَسَاقِفَةَ بِتَبَاقُحٍ حَتَّى الْقَرْنِ الرَّابِعِ عَشَرَ. وَقَدْ أُورِدَ مُؤَرِّخُو السَّرِّيَّاتِ أَسْمَاءَ ٨٦ أَسْقَفًا رَسَمَهُمُ الْبَطْرِيَرِكُ قَرِيَّاكُسُ (٧٩٣ - ٨١٧)؛ وَلَمَّا خَلَفَهُ الْبَطْرِيَرِكُ دِيُونِيسْيُسُ الْأَوَّلُ التَّلْمَحْرِي (٨١٨ - ٨٤٥) حَضَرَ سِيَامَتَهُ الْبَطْرِيَرِكِيَّةَ فِي بَيْعَةِ الرِّقَّةِ الْكُبْرَى ٤٨ أَسْقَفًا، وَقَدْ رَسَمَ هُوَ ٩٩ أَسْقَفًا فِي خِلَالِ وَلَايَتِهِ؛ وَتَوَلَّى كُرْسِيَّ الْبَطْرِيَرِكِيَّةِ بَعْدَهُ يُوْحَنَّا الْخَامِسُ (٨٤٧ - ٨٧٤) الَّذِي رَسَمَ ٨٤ أَسْقَفًا؛ ثُمَّ دِيُونِيسْيُسُ الثَّانِي (٨٩٦ - ٩١٩) الَّذِي رَسَمَ ٥٠ أَسْقَفًا؛ فَيُوْحَنَّا الثَّاسِعَ (٩٦٥ - ٩٨٦) الَّذِي رَسَمَ ٤٦ أَسْقَفًا. وَفِي الْمَحْفُوظَاتِ أَنَّ الْبَطْرِيَرِكَ أَثْنَاسْيُسَ السَّابِعَ (١٠٩١ - ١١٢٩) قَدْ رَسَمَ ٦٧ أَسْقَفًا؛ ثُمَّ مِيخَائِيلَ الْأَوَّلَ الْكَبِيرَ (١١٦٧ - ١٢٠٠) الَّذِي نَصَّبَ ٥٥ أَسْقَفًا. وَيَبْدُو أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَسَاقِفَةَ كَانُوا بِدَوْرِهِمْ يَرْسُمُونَ أَسَاقِفَةً لِأَبْرَشِيَّاتِهِمُ النَّاتِجَةِ لِلْكُرْسِيِّ الْأَنْطَاكِيِّ، غَيْرَ أَنَّ الْمُؤَرِّخِينَ لَمْ يَدَوِّتُوا أَسْمَاءَ هَؤُلَاءِ. وَلَكِنْ بَعْضُ النَّتْفِ قَدْ ذَكَرَ أَسْمَاءَ أَبْرَشِيَّاتٍ سَرِّيَّاتٍ عِدِيدَةٍ مُنْتَشِرَةٍ فِي بِلَادِ الشَّرْقِ عَامَّةً مِنْهَا: بَيْتُ نُوْهْدَرَا قَرِبَ زَاخُو، شَهْرُ زُور، بَاغْرِبَايَا، مَعْلَثَا، جُومَلْ، جَزِيرَةُ إِبْنِ عَمْرٍ، قَرْدُو، بَازِيدِي، بَرْطَلِي وَسَوَاهَا. أَضَفَ إِلَى ذَلِكَ أَبْرَشِيَّاتِ بِلَادِ فَارَسَ كَالْأَنْبَارِ وَهَرَاتٍ وَمِرَاغَةَ وَتَبْرِيزَ، ثُمَّ أَبْرَشِيَّةَ بَيْتِ أَرْشَمَ بِجَوَارِ الْكُوفَةِ، وَغَيْرَهَا. وَيَتَبَيَّنُ مِنَ الْمَرَاجِعَاتِ أَنَّ عَكَازَاتِ الْأَسَاقِفَةِ الْخَاضِعِينَ لِبَطْرِيَرِكِيَّةِ السَّرِّيَّاتِ الْأَنْطَاكِيَّةِ

زاد في القرنين العاشر والحادي عشر على ١٦٠ عَكَازًا في وقت واحد، وكان لصاحب كلِّ عَكَاز أبرشيَّة خاصَّة. وقد عدَّ البَحَّاثُ السريانيُّ الكاثوليكيُّ الأب إسحق أرملة أسماء الكراسي الأسقفية الخاضعة لبطريركية السريان، وأديارًا سريانية عديدة تولَّى رئاستها الأساقفة في سورية وقيليقيا وبلاد ما بين النهرين، ظَلَّتْ في نموِّ وازدهار على رغم ما انتابها من غوائل وكوارث حتَّى نهاية العهد الصليبي<sup>١</sup>. ونُكِرَ أَنَّهُ كان للسريان في ماردين كنيسة قديمة على اسم "شموني الشهيد"<sup>٢</sup> جُدَّتْ سنة ٧٦٤م.، ودير في جنوبيَّ البلاد على اسم مار ميخائيل الناسك جُدَّتْ كنيسته سنة ١٧٠٤ وفيه ضريح القديسة سيراس العائد إلى سنة ٧٨٥م<sup>٣</sup>. أمَّا كنيستهم الكبيرة فهي على اسم مار بهنام ورفاقه الشهداء الأربعين، لعلَّها بُنيت في أواخر القرن الثاني عشر، بعد أن استحلَّ المسلمون كنيسة الأربعين شهيدًا ودار المطرانية سنة ١١٧٠ وضمَّوهما إلى الجامع، واستحوذوا كذلك على كنيسة مار توما الرسول كما أيد ذلك ابن العبريِّ والمؤرِّخ الرهاويُّ في تاريخيهما<sup>٤</sup>.

## في الحقبة الصليبيَّة

في هذا الوقت، كانت الإنشِقات في القسطنطينية تتسبَّب في مزيد من التقهقر المسيحيِّ في الشرق، واستمرَّت حال الصراع الدائم بين المونوفيزيين والملكيين. وقد

---

١ - طرّازي، لصدق ما كان، ١: ٦٨ - ٧١، عن: مخطوط المتحف البريطاني لسرياني، رقم ١٠٣٥ من ١٢٠٠ من الفهرس؛ أرملة الخوري إسحق، تاريخ الكنيسة السريانية (مخطوط) ف٧، ف٢، من ١٢٦٦؛ معجم التاريخ والجغرافية الكنسي: مقال للمستشرق كرافسكي؛ الفهرس الملحقة بتاريخ ميخائيل الكبير.

٢ - شموني الشهيد: هي، حسب التقليد، الأم التي ماتت مع أولادها المبعة في سبيل الإيمان بعهد يوحنا الملكي كما جاء في التوراة.

٣ - أرملة الأب إسحق، القصارى في نكبات القصارى (١٩١٩) ص٣٣.

٤ - أرملة، القصارى في نكبات القصارى، ص ٣٣.



عمل الأمبراطور البيزنطي رومانوس الثالث (١٠٢٨ - ١٠٣٤) بجهد على إخضاع كنائس الشرق لسلطته. حتى أنه استدعى بطريرك السريان يوحنا الذي كان يقيم في مرعش، ليشرح إليه مع مطارنته وأساقفته، وعندما حضر هؤلاء إلى القسطنطينية حاول الأمبراطور، عبر بطريرك عاصمته، أن يفرض على البطريرك المونوفيزي نقض معتقده والاتحاق بالكنيسة الأرثوذكسية، وعندما بقي السرياني مصرّاً مع ثلاثة من أساقفته على المونوفيزية، أمر الأمبراطور بنفي البطريرك إلى المغرب، وبسجن الأساقفة الثلاثة، وقد مات الأول بعد ثلاث سنوات من نفيه، فأقام السريان لهم بطريركاً جديداً ما لبث أن التجأ إلى ديار بكر من بلاد الإسلام، هارباً من طلب الأمبراطور له، ولم يُعرف مصير الأساقفة المسجونين<sup>١</sup>.

في المقابل، يذكر مؤرخون سريان أن الصليبيين قد أطلقوا الحرية للمسيحيين عموماً في قضاء شعائهم الدينية، وأن ملوك الصليبيين وأمراءهم عاملوا السريان المونوفيزيين معاملة طيبة ولم يتعرضوا لهم في الشؤون المذهبية على رغم ما بين الصليبيين اللاتين وما بينهم من اختلاف في العقيدة. وقد ذكر ميخائيل الكبير (١١٢٦ - ١١٩٩) وهو بطريرك سرياني مونوفيزي معاصر للحقبة الصليبية، له بالسريانية "كتاب الحوليات" في تاريخ الكنيسة والشرق الذي يُعتبر مرجعاً قيماً، أن "أساقفة السريان وكهنتهم تمتّعوا بالراحة والسكينة في عهد دولة الصليبيين، فلم يلحقوا بنا أدنى أذى، لأنهم كانوا يعتبرون جميع الساجدين للصليب على حدّ سواء. لا يماحكونهم في المسائل الدينية كما يماحكهم أساقفة الروم".

---

١ - يحيى ابن سعيد الأنطاكي، ص ٢٥٢.

ويبدو أن الصليبيين قد اتخذوا من السريان المونوفيزيين معظم الأطباء والصيادلة في جيوشهم. وحصروا فيهم أعمال الترجمة في الدوائر الإدارية التي تآلفت فيها من موظفي الفريقين فئة فرنجية - سريانية نالت إعجاب الرحالة ابن جبير بتنظيمها وحسن معاملتها<sup>١</sup>. وأنشأ الصليبيون في كل مدينة وديرة احتلوها محكمة من مؤلفة من ستة أعضاء: أربعة سريان واثنين من الإفرنج<sup>٢</sup>. وكانت العلاقات بين ملوك الصليبيين وأخبار السريان على أحسن ما يُرام كما شهد المعاصرون الذين دوتوا أخبار الحقبة الصليبية. فقد ذكر ميخائيل الكبير أن البطريك السرياني أنثاسيوس السابع (١٠٩١ - ١١٢٩) كانت له منزلة رفيعة عند جوسلين الأمير الصليبي، وقد حلّ البطريك ضيفاً عليه في تلّ باشر<sup>٣</sup> عاصمته. وبعد وفاة هذا البطريك استدعى جوسلين إلى تلّ باشر "أساقفة السريان فعقدوا في كنيسة الإفرنج مجمعاً انتخبوا فيه بطريركاً جديداً هو يوحنا الخامس عشر (١١٢٩ - ١١٣٧). وقد احتفلوا في الكنيسة نفسها احتفالاً كبيراً بتتصيب هذا الحبر الأنطاكي السرياني وتسليمه العكاز البطريكي بحضور جوسلين ووزرائه وأقطاب دولته. ولما جلس البطريك أنثاسيوس الثامن (١١٣٩ - ١١٦٦) سار في أساقفته إلى تلّ باشر حيث سلمه الأمير جوسلين الأمتعة البيعية التي كان قد استحضرها من دير برصوما المجاور لمطية، وهو من أعظم أديار السريان اتخذه بعض البطارقة مركزاً لإقامتهم. وفي سنة ١١٥٧ احتفل هذا البطريك بتدشين كنيسة ثالثة للسريان في مدينة أنطاكية بحضور الملكة إيزابيل ورهط من الأخبار ورجال

١ - المشرق، م ٣١، ص ١٩٣٣، ص ٧٢٥.

٢ - طرزي، لصدق ما كان، ١: ٦٥، نقلاً عن: راي، المستعمرات الفرنسية في سورية في القرنين ١٢ و ١٣، ص ٥٩.

٣ - تلّ باشر: قلعة كبرى بين حلب والبيرو، في لحفها بلدة كثيرة المياه والسمطين.

السريان والأرمن والإفرنج<sup>١</sup>. ويبدو أن جوسلين عندما شعر بدنوّ أجله سنة ١١٥٧ وهو في سجن حلب، استأذن حاكم المدينة في الذهاب إلى كنيسة السريان حيث أتم فروضه الدينية لدى اغناطيوس مطرانها وتناول الأسرار من يده ثم عاد إلى سجنه وفيه توفي، فشيّع جثمانه إلى الكنيسة المذكورة في احتفال كبير حضره المسلمون والمسيحيون ونُفن ضمنها في ضريح خاص<sup>٢</sup>. أما البطريرك ميخائيل الكبير فقد زار أنطاكية سنة ١١٦٨ بدعوة من إيمريك بطريكها اللاتيني حيث جرى له استقبال رسمي وشعبي لافت. وفي ١١٧٩ جال هذا البطريرك نفسه للمرة الثانية على أنطاكية ومنها توجه إلى أورشليم، فنفق في طريقه أبرشيات سلوقية واللاذقية وعرقا وطرابلس والحدث وجونية وبعبك وسواها، ثم زار الملك بغدوين الثاني في عكا وأطلعه على الرسالة التي وجهها إليه البابا اسكندر الثالث، فابتهج الملك بذلك غاية الابتهاج<sup>٣</sup>. وممن كانت لهم علاقة بالصليبيين البطريرك اغناطيوس الثالث (١٢٢٢ - ١٢٥٢) الذي زار أنطاكية ومعه فريق من الأساقفة، ومنها انطلق إلى أورشليم حيث خرج إلى استقباله الإخوة الهيكليون وحملوه على الأكف وأحاطوه بمظاهر الإجلال والتوقير من باب العمود إلى دير مريم المجدلية<sup>٤</sup>.

ويجمع المؤرخون على أن العلاقات بين السريان والصليبيين بقيت موثقة العرى طوال مدة إقامة الصليبيين في بلاد الشرق. وقد أشار إلى ذلك البطريرك السرياني

١ - طرّازي، لصدق ما كلن، ١: ٦٦، نقلًا عن: الحروب الصليبية في الآثار السريانية، ص ٧٤ - ٧٧، ويرصوم البطريرك قرلم، تاريخ العلوم والأدب السريانية، ص ٥٠٩.

٢ - ابن الجبري، تاريخ الدول، ص ٣١٦ - ٣٢٦.

٣ - طرّازي، لصدق ما كلن، ١: ٦٦، نقلًا عن: الحروب الصليبية في الآثار السريانية، ص ١٥٦.

٤ - ابن الجبري، التاريخ البيعي، ج ١، في كلامه عن البطريرك اغناطيوس.

اغناطيوس بطرس السادس (١٦٧٨ - ١٧٠٢) في رسالة كتبها إلى لويس الرابع عشر ملك فرنسا (١٦٤٣ - ١٧١٥) في ٢ نيسان (إبريل) ١٦٧٨ على أثر جلوسه البطريركيّ جاء فيها:

... ليكن معلوماً لدى عظمتكم العالية ما صنع السريان القدياء مع الأمراء الفرنسية في محروسة القدس الشريف والمحبة والاتفاق بغاية المودة التي أبدوها أمام السلاطين العظام الذين حكموا عليها<sup>١</sup>.

ومما حفظته الحوليات أنّ الصليبيين عندما غادروا الشرق سلّموا إلى السريان ديرين كبيرين من أديارهم هما: دير "سّتي مريم" في وادي يوشافاط، ودير "البلمند" بجوار طرابلس. وبقي الدير الأوّل في حيازة السريان من سنة ١٢٨٧ إلى سنة ١٣٩٣، أمّا دير البلمند فظلّ في يدهم من سنة ١٢٨٦ إلى سنة ١٦٠٣<sup>٢</sup>. وفي هذه الحقبة، كانت الكنيسة السريانية تضمّ حوالي مليونيّ مؤمن<sup>٣</sup>.

---

١ - طرّزي، لصدق ما كان، ١: ٦٧، نقلًا عن: سجلات المكتبة الأهلية بباريس، الرسائل العربية، رقم ٤٦٢٢.

٢ - طرّزي، لصدق ما كان، ١: ٦٧.

٣ - KOCHASSARLY KHAJIL, *EVENTAIL DES ÉGLISES D'ORIENT*, (BRUXELLES, 1987) PP. 23-24.

## تَشَتُّ السَّرِيَّانِ

وفي القرن الثالث عشر اجتاحت جحافل المغول مراكز النقل لهذه الطائفة في طور عابدين<sup>١</sup> وماردين<sup>٢</sup> وتكريت<sup>٣</sup> وإربل<sup>٤</sup> والموصل<sup>٥</sup>، وذهبت أهلها، وقد لجأ الناجون منهم إلى جبال الأناضول الشرقية وبعض المدن في سورية وما بين النهرين ولبنان. وفي السجلات السريانية ذكر لعدد كبير من الأديار والكنائس والبيع والرعايا السريانية المونوفيزية في مختلف المناطق اللبنانية، تعود تواريخها إلى أزمنة متعددة، بعضها يعود إلى القرون المسيحية الأولى، وبعضها الآخر إلى حقبات تلت هجرة

---

١ - طور عابدين: عبارة سريانية معناها جبل العابدين، هو اسم للجبال الممتدة بين ماردين في تركيا وجزيرة ابن عمر شمالي ما بين النهرين، فتحها العرب سنة ٦٤٠، كان فيها عشرات الأديرة والكنائس التي دمرتها الحروب، أهم أديرتها الباقية: دير الزعفران الشهير بالقرب من ماردين.

٢ - ماردين: مدينة تركية، عدد سكّنها اليوم حوالي ربع مليون نسمة، تقع على مسافة ٤١١ كيلومتراً من حلب، جلا عنها أكثر المسيحيين بين ١٨٩٥ و١٩١٧ كما سيأتي، شهيرة بقلعتها القديمة، بالقرب منها دير زعفران للسريان المذكور في المرجع السابق.

٣ - تكريت: مدينة في العراق على شاطئ دجلة الأيمن شمالي سامراء. هي اليوم مركز قضاء تكريت في محافظة بغداد، سكّنها في الجاهلية بنو إباد النصاري، اشتهرت في العهد العباسي بقلعتها وصناعة الأصواف، فيها ولد صلاح الدين الأيوبي، هُزم فيها تيمورلنك ١٣٩٤، فيها آثار كنيسة قديمة كانت كرسياً لمقراً كبيراً للسريان.

٤ - إربل أو إربيل: مدينة في العراق، قاعدة محافظة إربيل ومركز القضاء، سكّنها اليوم حوالي مليون ونصف، هي "إربل" القديمة، ورد ذكرها في الكتابات السومرية الألف ٣ ق.م. عُرفت باسم "إربيلو" في العهد الآشوري، بالقرب منها انتصر الإسكندر الكبير على داريوس الفارسي في معركة كوكاميله.

٥ - الموصل: مدينة في العراق، قاعدة محافظة نينوى ومركز قضاء الموصل، سكّنها حوالي ثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة، لُقبت بالحدياء ولمّ الربيعين، تقوم على أنقاض مدينة ساسانية (سلالة فارسية)، بدأ احتلالها بعد مرور المغول ١٢٥٩ وتيمورلنك ١٤٠٠.

السريان إلى لبنان من مناطق مختلفة بسبب الاضطهادات في القرون الوسطى والحديثة نسبيًا<sup>١</sup>.

وتقتصر المرويات السريانية حول أحوال الكنيسة السريانية في عهد المماليك على نتف قصيرة، منها أنه في منتصف نيسان (إبريل) ١٢٨٩، وقعت في طرابلس حرب دامية بين المسلمين والصليبيين، فتغلب المسلمون وقوضوا دور المدينة ولم يتركوا برجًا من أبراجها إلا نكوه، ولا كنيسة إلا هدموها. وأستأسروا من البنين والبنات عددًا لا يقع تحت الإحصاء. وقتلوا جموعًا من الكهنة والشمامسة والرهبان والراهبات وتركوا البلد خاليًا. وكان عدد السريان كبيرًا في طرابلس لهم فيها أسقف يرعاهم. وبعد تلك الغائلة الهائلة تصدّع شمل السريان في طرابلس وقلّ عددهم. وفي السنة ١٣٦١ عيّن للبقية الباقية منهم مرقس مطران أورشليم الذي ضمت إلى رعايته دمشق وساحل البحر بما فيه طرابلس<sup>٢</sup>.

يشكو مؤرخو السريان من قلة المصادر التاريخية عندهم بعد القرن الثالث عشر، ويعزون السبب في ذلك إلى اجتياح عساكر التتر والمغول للبلاد الشرقية وفتكهم بمعظم سكانها وإتلافهم مستنداتها. وإلى أن طائفة كبيرة من مؤلفات السريان المخطوطة في لبنان أو المنقولة إليه من بلاد السريان قد أُلقت غير مرة وأحرقت من قبل الموارنة والبعثات البابوية بحجة أنها تتضمن أمورًا مخلة بعبائد الدين. إلا أنه يتبين من "زجلّيات ابن القلاعي"، أحد أبرز مؤرخي الموارنة في تلك الحقبة، وهو

---

١ - للاطلاع على هذه المعلومات راجع: طرّازي، لصدّق ما كان، مرجع سابق.

٢ - طرّازي، لصدّق ما كان، ١: ٦٣، عن: ابن الجبري، ملحق لتاريخ الدول السريانية، ص ٥٦٦؛ لامنس الأب هنري اليسوعي، تسريح

الأبصار في ما يحتوي لبنان من آثار، طبعة بيروت (١٩٩٦) ١: ١٥٥.

الذي حارب المونوفيزية بشكل عنيف، أن السريان قد حققوا انتشاراً واسعاً في المناطق اللبنانية بعد الحقبة الصليبية، وقد أوفدت روما ذلك الأسقف الشهير إلى لبنان نهاية القرن الخامس عشر في مهمة تهدف إلى منع تسالّ المعتد المونوفيزي إلى الكنيسة المارونية على أيدي علماء الكنيسة السريانية<sup>١</sup>. وقد جاء في زجلّيات ابن القلاعي ما مفاده أنه في عهد البطريرك الماروني لوقا البهراني (١٢٨٣ - ١٢٩٩) تمكّن راهبان مونوفيزيان من إقناع هذا البطريرك وبعض الموارنة بمعتقد الطبيعة الواحدة، ويبدو أن فترة كبرى قد حصلت بسبب ذلك، فتدخلت روما، وجرى انتخاب بطريرك آخر حلّ مكان البهراني هو البطريرك أرميا العمشيتي (١١٩٩ - ١٢٣٠)، إلا أن الأب بولس قرالي<sup>٢</sup> قد مال إلى اعتبار أن البهراني لم يكن في الأساس بطريركاً مارونياً بل كان بطريركاً سريانياً مونوفيزياً مثل نوح البقولاوي أحد بطاركة السريان "اليعاقبة" في لبنان. على أن مراجعات كافّة المؤرخين المستقلين تؤكد على صحّة وجهة نظر ابن القلاعي. ولكن قرالي لم ينكر انحياز بعض المقدمين إلى المعتد المونوفيزي، ومنهم المقدم سالم والمقدم منعم في عهد البطريرك الماروني يعقوب الحدي (١٤٤٥ - ١٤٦٨) وانضمام قسم من أهالي بشري وحريين ولحد<sup>٣</sup> إليهما. وتفيد زجلّيات ابن القلاعي أن المونوفيزية قد انتشرت في جمهور غفير من الموارنة انتشاراً عظيماً أفضى بهم إلى إقامة أمير لحدي عليهم وتنصيب أسقف سرياني يدير شؤونهم الدينية.

---

١ - راجع الجزء الرابع عشر من هذه الموسوعة.

٢ - بولس قرالي (١٨٨٧ - ١٩٥١): كاهن ماروني وعالم وحنّة، أنشأ "المجلة البطريركية"، نشر مجموعة عن حياة فخر الدين المعني، له أبحاث تاريخية كثيرة.

٣ - لحقد: مصيف في بلاد جبيل، مسقط رأس ابن القلاعي وثلاثة بطاركة موارنة قبل القرن الخامس عشر.

وأقبل يومئذ كثير من الرهبان السريان وسكنوا في وادي قاديشا وفي دير الغراديس بأرض "بان" بجوار بشرّي. وكان عددهم سنة ١٢٤٢ أربعين راهبًا. غير أنّ المقدم الماروني قد ثار عليهم وقتلهم جميعًا، وقرّر أهالي بشرّي أنهم لن يسلكوا أحدًا من السريان قطعًا. غير أنّ ذلك لم يمنع توافد رهبان سريان من صفد بعد زمن قصير، وكان يومها مقتما على بشرّي المقدم سالم، فمال إليهم وانحاز إلى معتقدتهم وجعل يدافع عنهم. وبسبب ذلك حدثت فتنة مذهبية في بشرّي انتهت بإقامة المدعو نقولا مقتما على بشرّي، فحارب "اليعاقبة" حتّى هزمهم<sup>١</sup>.

وروى البطريك الماروني إسطفانوس الدويهي (بطريك ١٦٧٠ - ١٧٠٤)، وهو من أبرز مؤرخي الكنيسة المارونية، في حولياته ومؤلّفاته ما مفاده أنّ السريان المونوفيزيين، ويسمّهم اليعاقبة، قد سكنوا حردين من أعمال البترون وتبعهم أهل القرية الذين بقي بعض منهم على هذا المذهب حتّى زمن الدويهي. وأنّه في سنة ١٣٩٣، انحاز البطريك الماروني داود إلى المونوفيزيّة، فاجتمع رؤساء الكنيسة المارونية وعزلوا هذا البطريك الذي تسمّى من اليعاقبة حينًا وأقاموا موضعه البطريك يوحنا الجاجي (١٤٠٤ - ١٤٤٥)<sup>٢</sup>.

كما أجمعت المذوّبات المارونية على أنّ عبد المنعم الثاني قد تولى مقمّة بشرّي في عهد البطريك الماروني يعقوب الثالث الحنثي (١٤٤٥ - ١٤٦٨) فدافع عن السريان أكثر من المقّمين أسلافه، وتحزّب خصوصًا لعيسى أسقف السريان ولموسى

---

١ - الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص ١٢٢.

٢ - قابل: الهاشم المونسينيور لويس، تاريخ العقورة (بيت شبيب، لبنان، ١٩٣٠) ص ١٩٧ الذي ذكر أنّ البطريك داود كان من العقورة وأنّ الذي نصّب مكفه كان البطريك جبرئيل الثاني الحنثي الذي استشهد في طرابلس سنة ١٣٦٧ على أيدي الحكّام.



بن عطشة التاجر السرياني الشهير، وظلّ عبد المنعم على معتقده حتّى وفاته سنة ١٤٩٥.

ويعتد مؤرخو السريان بعض مشاهير الإكليروس السرياني يومئذ، بعضهم من بقوا بجوار إهدن، وبعضهم الآخر من حربيين البترون ولحفد جبيل<sup>١</sup>. كما يروون عن بعثات بابويّة متلاحقة قصدت لبنان بين القرن الخامس عشر والقرن السابع عشر ونقّفت في الكتب الدينيّة وأمرت بإتلاف كلّ ما من شأنه أن يمتدّ إلى المعتقد المونوفيزي بصلّة إيجابيّة.

## الكنيسة السريانيّة الأرثوذكسيّة (المونوفيزيّة) اليوم

أدّى التشتّت المتواصل في ظروف متعدّدة إلى الإضعاف من شأن الكنيسة السريانيّة المونوفيزيّة التي باتت تُعرف بالكنيسة السريانيّة الأرثوذكسيّة، وقد رافق تهجير أبناء هذه الكنيسة ومحاربة معتقدها معاناة داخليّة أدّت إلى الانقسامات فيها، حتّى إنه في نهاية القرن الثالث عشر كان هنالك ثلاثة رؤساء للكنيسة السريانيّة، وكان يتبع كلّ منهم أساقفة ومؤمنون.

فقد تشرّد عدد كبير من المسيحيّين السريان المونوفيزيّين والكاثوليك القاطنين في شرقيّ تركيا إبان الحرب العالميّة الأولى. وانتقل المقرّ البطريركيّ المونوفيزيّ الأرثوذكسيّ من دير الزعفران قرب ماردين، إلى جهات الموصل، ثمّ استقرّ في

---

١ - طرازي، لسبق ما كان، ١: ٨١.

حمص سنة ١٩٣١ إلى أن نقله البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث إلى دمشق عام ١٩٥٩. واستعادت الكنيسة السريانية الأرثوذكسية حيويتها بهمة ثلاثة بطاركة تعاقبوا على رأسها وامتازوا بعلمهم وفضيلتهم.

البطريرك اغناطيوس افرام الأول برصوم (١٩٣١ - ١٩٥٧): اشتهر بأبحاثه العلمية في تاريخ الأدب السرياني، وله في ذلك كتاب "اللؤلؤ المنثور" المعروف في الأوساط العلمية.

البطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث (١٩٥٧ - ١٩٨٠): عمل على توطيد العلاقة بين الكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية، وفتح كنيسته على الحركة المسكونية إذ أصبحت عام ١٩٦٠ عضواً في مجلسي الكنائس العالمي. وأرسل مراقبين إلى المجمع الفاتيكاني الثاني منذ دورته الأولى. وقام بزيارة أولى إلى روما عام ١٩٧١، في عهد البابا بولس السادس، وأصدر بياناً مشتركاً يوضح وحدة العقيدتين الكاثوليكية والسريانية حول سرّ التجسد. وقام بزيارة ثانية إلى روما قبل وفاته بقليل، في عهد البابا يوحنا بولس الثاني في أيار (مايو) ١٩٨٠، وقد توفي في دمشق في ٢٥ حزيران (يونيو) ١٩٨٠.

البطريرك اغناطيوس زكّا الأول عيواص: إنتخب في ١٢ تمّوز (يوليو) ١٩٨٠ وكان مطراناً على الموصل ثمّ بغداد. وكان قد مثّل كنيسته كمراقب في المجمع الفاتيكاني الثاني، وشارك في الحوار المسكوني بين الكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية. وقد قام بزيارة رسمية لقداسة البابا يوحنا بولس الثاني في حزيران (يونيو) ١٩٨٤، فصدر عقب هذه الزيارة بيان رسمي يوضح التقارب العقائدي بين الكنيستين الكاثوليكية والسريانية الأرثوذكسية، ويسمح بالتعاون الرعائي والاشتراك بالقداس في بعض الظروف المعيّنة.

والسريان الأرثوذكس في سورية أربع أبرشيات، هي دمشق وحمص وحماه وحلب، والجزيرة والفرات. ولهم في لبنان أبرشية بيروت وزحلة وأبرشية جبل لبنان. وفي الأردن أبرشية القدس. وفي العراق أبرشية بغداد والموصل وأبرشية دير مار متى شرقي شمالي الموصل، ونيابة بطريركية في الموصل، وفي تركيا أبرشية طور عبيد ومقرها مزيات، ونيابة بطريركية في اسطنبول ومصر. وفي بلاد الإغتراب لهم خمس أبرشيات: الولايات المتحدة وكندا، البرازيل، الأرجنتين، السويد، أوروبا الوسطى (هولندا).

عدد أبناء الكنيسة السريانية الأرثوذكسية (المونوفيزية) يتراوح اليوم، بحسب مراجع مختلفة، بين ١٠٠ و ٢٠٠ ألف نسمة<sup>١</sup>. وذكرت دراسات أن عدد السريان الأرثوذكس، المقيمين في البلدان العربية، يبلغ اليوم نحو ١٥٠ ألف نسمة، أكثرهم في سوريا ولبنان والعراق<sup>٢</sup>. أما سريان الهند، وعددهم مليونان، فقسم منهم يعترف بسلطة البطريرك السرياني الأنطاكي (١٦ أبرشية)، والقسم الآخر قد أعلن استقلاله ويخضع لكاثوليكوس الهند (٨٩ أبرشية). وإن فرعاً من سريان الهند الأرثوذكس أعلن اتحاده بروما عام ١٩٣٠ فشكّل الكنيسة الملتكاريّة<sup>٣</sup>.

---

١ - يتيّم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

٢ - إبراهيم د. سعد الدين، المجتمع والدولة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت، ١٩٨٨)؛ السّمّاك محمّد، الاكثاليّات بين العروبة والإسلام، دار الطلم للملايين (بيروت، ١٩٩٠) ص ٢٤.

٣ - يتيّم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ٣٤٩ - ٣٥٠.



# الكنيسة السريانية الكاثوليكية

الكنيسة السريانية الكاثوليكية؛

الإنضمام الرسمي إلى كنيسة روما؛

الكنيسة السريانية الكاثوليكية في لبنان؛

السريان الكاثوليك اليوم



# الكنيسة السريانية الكاثوليكية

في خضم تلك الانقسامات، كان بعض أساقفة السريان، منذ أواخر القرن الثاني عشر، يرجعون رويدًا رويدًا إلى طاعة خليفة بطرس زعيم الرسل<sup>١</sup>، ومنهم "موديانا" مطران ماردين الرهلاوي، والمقران يوحنا ابن المعنّي، والبطريك عبدالله اسطيفان، والبطريك نعمة أصفر<sup>٢</sup>، وأثناسيوس بطرس ابن أخيه وغيرهم<sup>٣</sup>. وكانت قد حصلت مراسلات بين البابا غريغوريوس التاسع (١٢٢٧ - ١٢٤١) والبطريك السرياني اغناطيوس داوود أدت إلى ارتداد هذا الأخير الذي كتب صورة إيمانية وأرسلها إلى البابا ثم جدها بعد عشر سنوات على عهد انيقيتس الرابع (١٢٤٣ - ١٢٥٤). وبعده بحوالي مائة سنة (١٣٤٠) عقد مجمع في جزيرة قبرص، بأمر من البابا بنديكتس الثاني عشر (١٣٣٤ - ١٣٤٢) حضره رؤساء الطوائف المسيحية الشرقية في الجزيرة، وفيه جاهر أسقف السريان المونوفيزيين بإيمان الكنيسة الكاثوليكية، على أن تبقى الكنيسة على طقوسها السريانية. ثم ما لبث قسم من أبنائها أن اتبع الطقس اللاتيني، والتحق القسم الآخر، على ما يبدو، بالموارنة.

---

١ - المقصود بابا روما.

٢ - هو نفسه نعمة الله أصفر الذي سيورد ذكره لاحقاً.

٣ - أرملة، القصارى في نكبات القصارى، ص ٣٢ - ٣٣.

بعد مائة سنة أخرى جاءت محاولة جديدة على مستوى مجمع مسكوني إتحادي، هو المجمع للفلورنتيني (١٤٣٨ - ١٤٤٥) الذي عقده البابا أوجين الرابع (١٤٣١ - ١٤٤٧) بهدف اتحاد الكنائس، وتم فيه الاتفاق مؤقتًا بين اليونان واللاتين. وقد مثل الكنيسة السريانية المونوفيزية في هذا المجمع البطريرك بهنام الحلبي، فكان من نتائج المجمع أن أصدر البابا أوجين صورة القرار الخاص بالسريان في ٤ شباط (فبراير) ١٤٤١. وبعد انتقال المجمع إلى اللاتران في روما، أوفد البطريرك الحلبي المطران عبدالله، مطران الرها، الذي أقر، في ٣٠ أيلول (سبتمبر) ١٤٤٤ بين يدي البابا المذكور باسم البطريرك وشعبه، بإيمان الكنيسة الكاثوليكية. غير أن هذا الاتحاد انفرط لاحقًا بسبب معاكسات السلطات العثمانية وصعوبة الاتصال بين الشرق والغرب.

وبعد أكثر من مائة سنة أخرى، وتحديدًا في ٢٦ أيار (مايو) ١٥٥٣، تلا موسى، موفد البطريرك اغناطيوس عبدالله، بين يدي البابا يوليوس الثالث (١٥٥٠ - ١٥٥٥) باسمه وباسم بطريركه المونوفيزي، دستور الإيمان والتسليم بالمجامع المقدسة. ولكن مصير هذا الاعتراف كان كمصير الاعترافات السابقة. إلى أن جاءت المحاولة الأخيرة مع البطريرك نعمة الله أصفر الماريني (١٥٥٧ - ١٥٧٦)، عبر مراسلات متبادلة بينه وبين البابا بيوس الرابع (١٥٥٩ - ١٥٦٥) وخلفه بيوس الخامس (١٥٦٦ - ١٥٧٢)<sup>١</sup>. إلا أن هذا البطريرك قد أكره على اعتناق الاسلام تخلصًا من الموت، وقد تمكن في ما بعد من اللجوء إلى روما طالبًا حماية البابا غريغوريوس الثالث عشر (١٥٧٢ - ١٥٨٥)، وأمضى حياته في الفاتيكان بالتوبة والصلاة والعمل على التحاق

---

١ - ييلوني المطران رايولا لاطون، المريان الكاثوليك في لبنان (المنارة، ١٩٨٦) للحدان الأول والثاني ص ١٥٤.



جماعته بالكنيسة الرومانية، فاصطدم بصعوبتين أقشلتا الاتفاق: معاكسة الحكام الأتراك المستمرة، وتمسك السريان بطقوسهم وتقاليدهم<sup>١</sup>. وكان البطريرك نعمة الله أصفر قد سعى في روما لدى البابا غريغوريوس الثالث عشر في إرسال الأسقف ليوناردو هابيل إلى الشرق ليتصل بخلفه البطريرك داود شاه (١٥٧٦ - ١٥٩١)، وكان داود أخا نعمة الله، فبعث البطريرك داود إلى رومة بصورة إيمانه الكاثوليكي، ولكنه عاد إلى معتقد الكنيسة السريانية المونوفيزية بعد مدة وجيزة<sup>٢</sup>. ويرى باحثون كنسيون أنه إذا كان الأسقف ليوناردو لم ينجح في مهمته الدينية نجاحاً تاماً، ولم يحصل فوراً على نتائج هامة، إلا أنه وجه الأفكار نحو روما، وجعل رجال الإكليروس يشعرون بأضرار الإنشقاق، وأنعش في قلوب الطبقة الراقية الرغبة الصادقة في اتحاد المسيحيين، وهذه نتيجة هامة حصل عليها<sup>٣</sup>. علماً بأنه كان لليوناردو نشاطاً مماثلاً مع الكنيسة النسطورية كما سيأتي.

---

١ - بيلوني المطران رايولا قطون، السريان الكاثوليك في لبنان (المنارة، ١٩٨٦) الحدان الأول والثاني ص ١٥٤.

٢ - يتيق المطران ميشيل والإرشمندريت أغناطيوس ديك، تاريخ الكنيسة الشرقية وأهم أحداث الكنيسة الغربية، منشورات المكتبة البولمية، طبعة ٤، (بيروت، لبنان ١٩٩٩) ص ٢٨٩.

٣ - يتيق وديك، مرجع سابق، ص ٢٨٩.

## الإيضاحُ الرَّسمي إلى كَنيسة رُوما

في حوالى العام ١٦٣٠ وصل إلى ماردين عدد من الرهبان الكرمليين وراحوا يبشرون الأرمن الغريغوريين والسريان المنفصلين وينصحونهم بالعودة إلى طاعة الحبر الأعظم، وقد لاقت رسالتهم الكثير من التجاوب. وسنة ١٦٤١ وصل إلى ماردين الأب "يوحنا سان منس" واصطفى السيد "ملكون طازياز" ولقَّنه مبادئ الإيمان الكاثوليكي وأوفده إلى مدرسة البروباغندا بروما<sup>١</sup> حيث أُنقن العلوم، ثم عاد إلى وطنه فتيسر له أن يؤلف جماعة من الأرمن الكاثوليك<sup>٢</sup>. بيد أن الإتصالات بين السريان والكنيسة لم تسفر عن نتائج رسمية قبل القرن السابع عشر، إذ في سنة ١٦٤٩ اعتنق المطران السرياني المونوفيزي: ديونسيوس قسطنطين، أسقف حلب، المذهب الكاثوليكي، وهو على فراش الموت، وخلفه ديونسيوس توما، وكان يؤيد الكنيسة، ففتح كنيسة لوعظ الرهبان المرسلين وتبشيرهم. وكان القنصل الفرنسي: فرنسوا بيكه، خير مساعد لهم في مهمتهم الدينية. ولما مات المطران توما سنة ١٦٥٦ سعى القنصل بيكه لدى البطريرك شمعون في طور عابدين ليقم أندراوس أخيجان<sup>٣</sup> أسقفًا على أبرشية

---

١ - البروباغندا: من مدارس روما للعلوم الدينية، يتخف فيها الكهنة من أنحاء العالم، أُنست ١٦٢٣ على عهد البابا غريغوريوس الخامس عشر (١٦٢١ - ١٦٢٣).

٢ - لرملة، القصارى في تكليف النصارى، ص ٣٦ - ٣٨.

٣ - أندراوس لو أندره أخيجان: هو ابن عبد العال المارديني الشمسي اليقوي، اعتنق الكنيسة على يد أحد المرسلين الكرمليين بحلب، بتم شطر لبنان وحل في دير قنوين عند البطريرك الماروني يوسف الملقوري (بطريرك ١٦٤٤ - ١٦٤٨)، سافر إلى روما ودرس في المدرسة المارونية سنتين، عاد إلى لبنان وأقام عند البطريرك الماروني يوحنا الصفرلوي (بطريرك ١٦٤٨ - ١٦٥٦) الذي سلمه كاهنًا وعيَّنه نائبًا عنه في قبرص وعكَّز تشغل هذه الوظيفة خمس سنوات، وإذ كانت لواصل الصداقة قوية بين البطريرك

حلب السريانية، فنجح في مساعاه<sup>١</sup>.

لاقى المطران أخيجان في حلب مقاومة عنيفة من بعض أبناء ملته ومن السلطات العثمانية رغم فرمان الإعتراف السلطاني، فاضطرّ إلى ترك المدينة واللجوء إلى لبنان؛ غير أن عددًا كبيرًا من أبناء رعيته قد ألحّ عليه للعودة إلى حلب، وكذلك فعل المرسلون، فعاد إليها في ١٢ آذار (مارس) ١٦٥٨. إثر هذه العودة، ثبتّه البابا ألكسندروس السابع (١٦٥٥ - ١٦٦٧) أسقفًا على حلب، وفي ربيع ١٦٦٠ عقد اجتماع اشترك فيه ممثلون عن الروم والأرمن والسريان، اعترفوا بخلافه بصحة المذهب الكاثوليكي. وإذ تمكّن المطران أندراوس أخيجان، بغيرته وجهوده، من استمالة قلوب مقاوميه، فعندما توفي بطريرك السريان شمعون اجتمع سريان حلب الكاثوليك وأعلنوا أندراوس بطريركًا على عموم الكنيسة السريانية في ١٩ نيسان (إبريل) ١٦٦٢، فاعترف به السلطان محمد الرابع مُصيرًا البراءة وأمرًا هاليونيًا في ١٣ آب (أغسطس) ١٦٦٢، ومنحه البابا ألكسندروس السابع درع التثبيت في ٢٢ تمّوز (يوليو) ١٦٦٣<sup>٢</sup>.

إلا أن هذا الواقع، الذي كان له فعل الجمع في الكنيسة، قد أدى في الوقت نفسه إلى انقسام آخر. هذا الانقسام كان داخل الكنيسة السريانية بالذات. فلقد قاوم قسم من

---

شمعون والفصل بيكه، تمكّن الفصل من حمل البطريرك على اختيار كاهن سرياني كاثوليكي ليكون مطرانًا على أبرشية حلب خلفًا للمطران توما الذي توفي سنة ١٦٥٦ فوقع الاختيار على أخيجان الذي قبل الرسامة الأسقفية من البطريرك الماروني يوحنا الصفراوي في ٢٩ حزيران (يونيو) ١٦٥٦ ونال في ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) فورمًا ملطقيًا من محمد الرابع عشر يعترف به رئيس أساقفة أبرشية حلب السريانية.

١ - يتيم وديك، مرجع سابق، ص ٣٤٠.

٢ - يتيم وديك، مرجع سابق، ص ٣٤٠ - ٣٤١؛ راجع: أرمله، القصرى في تكبات القصرى، ص ٣٣.

السريان، وهم المونوفيزيون الذين أطلقوا على كنيستهم إسم كنيسة السريان الأرثوذكس، هذا الإقراراف بالكنيسة الكاثوليكية. وقد استفاد الأتراك العثمانيون من هذه المنازعات، فكانوا تارة يساندون هذه الفئة، وطورا تلك، سواء بالرشوة أو المراوغة أو الدسائس. واستمرت هذه المأساة على عهد البطريرك الكاثوليكي الثاني اغناطيوس بطرس شهابدين، الذي خلف أخيجان، بعد أن كان هذا الأخير قد أسس سنة ١٦٧٠ في حلب جمعية رهبانية نسائية أثارت بفضائل أعضائها إعجاب الجميع<sup>١</sup>، وجال في بلاد ما بين النهرين، ثم عاد إلى حلب وفيها توفي في ١٨ تمّوز (يونيو) ١٦٧٧<sup>٢</sup>.

كان البطريرك الكاثوليكي السرياني الثاني (١٦٧٧ - ١٧٠٢) اغناطيوس بطرس شهابدين رئيس أساقفة القدس، وكانت أبرشيته منقلة بالديون، فسافر إلى العراق يستجدي حسنات المؤمنين، ومرّ في طريقه بمدينة حلب، واتّصل بالبطريرك أندراوس أخيجان الذي أعجب بما كان يتحلّى به هذا الحبر من الصفات النبيلة والفضائل السامية. فلما توفي أخيجان أجمع الكلّ على انتخابه بطريركاً، ودعوه إلى حلب، فأقبل إليها، واشترك في حفلة تنصيبه ثمانية من الأعيان الكاثوليك من مختلف الطوائف. وسرعان ما رسم البطريرك الجديد ثلاثة أساقفة لأبرشيات القدس وحلب ونيوى. وكتب رسالة إلى البابا ضمّتها صورة معتقده<sup>٣</sup>. إلّا أنّ هذا البطريرك قد تحمّل كثيراً من الاضطهادات، فذاق السجن والضرب والنفي. فقد أدّت الدسائس إلى خلعه عن

---

١ - يتيم وديك، مرجع سابق، ص ٣٤٠ - ٣٤١.

٢ - يتيم وديك، مرجع سابق، ص ٣٤٠ - ٣٤١؛ راجع: لرملة، القصارى في تكليات القصارى، ص ٣٣.

٣ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ٣٤١ - ٣٤٢.

كرسيّ البطريركيّة خمس مرّات، هرب في إحداها إلى لبنان طالباً حماية البطريك المارونيّ إسطفانوس الدويهي (بطريك ١٦٧٠ - ١٧٠٤) في قنّوبين. وفي ١٤ آب (أغسطس) ١٧٠١ أصدر مفتي المسلمين في الآستانة، الشيخ فضل الله، بناءً على شكوى كاذبة، أمراً إلى قاضي حلب بالقبض على هذا البطريك وعلى مطران حلب رزق الله أمين خان وعدد من الكهنة والرهبان السريان الكاثوليك، فرجّهم في السجن مدّة ثمانين يوماً أنيقوا بخلالها شتّى أنواع الإهانات والتعذيب والتجوير، ثمّ صدر أمر بنفيهم إلى قلعة أدنه، فسيقوا سبيراً على الأقدام حتّى الإسكندرون، ورغم تدخّل نائب قنصل فرنسا للتخفيف من وطأة هذه الاجراءات، استمرّ تنفيذ المقرّر. وما إن وصل المنفيّون إلى السجن حتّى فارق المطران الحياة. وتبعه البطريك بعد أربعة أشهر إلى دنيا الآخرة في ١ آذار (مارس) ١٧٠٢ وهو أيضاً في المنفى، فاعتُبرا شهيدَين، وكان البطريك اغناطيوس بطرس شهبلايين الشهيد في أثناء نضاله في سبيل الإيمان قدوةً صالحةً لأبناء طائفته، ومثالاً حياً للشهامة والفضيلة<sup>١</sup>. وبقي الرهبان الثلاثة الآخرون معتقلين حتّى سنة ١٧٠٤، ولم يُفرج عنهم إلّا بعد تدخّل السفير الفرنسيّ وإلحاحه. فقصد الناجون الثلاثة دير قنّوبين حيث أشار عليهم البطريك المارونيّ يعقوب عوّاد الحصريّ (بطريك ١٧٠٥ - ١٧٣٣) بالذهاب إلى بلدة الشبانيّة<sup>٢</sup> في المتن ليكونوا في منأى عن سلطة باشا طرابلس. وبعد عناء طويل تمكّنوا من بناء دير في جوار الشبانيّة على اسم القديس افرام، عُرِف باسم دير ما افرام الرغم. غير أنّ هذا الدير لم يصمد في وجه فتنتيّ ١٨٤٠ و ١٨٦٠

١ - يتيّم وديك، تاريخ الكنيسة الشريّة، ص ٣٤١ - ٣٤٢.

٢ - الشبانيّة: مصيف في قضاء بعيدا الذي كان يُعرف بالمتن الجنوبيّ، يتّلمس السكن فيه موارنة ودرّوز.

الدمويين اللتين وقعتا بين المسيحيين والدروز، إذ مُرّ تمامًا بعد أن نُبح رهبانه وأُحرقت مكتبته.

وما بين ١٦٨١ و ١٨٥٠ بقي المرسلون الكرمليون واليسوعيون يصلون إلى ماردين لهداية المونوفيزيين السريان والأرمن إلى الدين الكاثوليكي، وبنوا الكنائس التي لا تزال بحوزة السريان الكاثوليك. وأقام السيد "تقولا كستلس" القاصد الرسولي في ماردين حتى سنة ١٨٧٠ تاريخ وفاته، ودُفن في كنيسة الآباء الكبوشييين، وخلفه السيد زكريّا القاصد الرسولي الذي توفي هو أيضًا في ماردين ودُفن في الكنيسة نفسها. وتتأوب الآباء الكبوشييون في خدمة كاثوليك ماردين منذ أوائل القرن التاسع عشر، وعُرف منهم الأب "مرسلينو" الذي جرت في عهده مسألة انضمام جماعة من طائفة السريان الكاثوليك إلى الكنيسة الكبوشية، فصدرت الأوامر من لدن الكرسي الرسولي بأن يعود كل إلى طقسه. كما اُبتنت الراهبات الفرنسيّات ديرًا ومدرسة وخصّصن حياتهنّ لتعليم الفتيات الأصول الدينيّة والأشغال اليدويّة<sup>١</sup>.

ويعتبر باحثون كنسيون أنّه كان للدبلوماسيين الغربيين، في هذه الحقبة، فضل عظيم في تكوين الطوائف الكاثوليكية في الشرق. فقد استفادوا من الاتفاقية المعقودة بين فرنسا والدولة العثمانية، عام ١٧٤٠، فسمحوا للمرسلين الغربيين بالبقاء في الشرق والانتشار فيه. وقد عمل المرسلون الشيء الكثير في تأسيس الطوائف الشرقية الكاثوليكية ودعمها وتقوية مشاريعها وإعداد إكليروسها للحياة الكهنوتية. وكان

---

١ - لرملة، القصرى في نيكيت القصرى، ص ٣٦ - ٣٨.

للدبلوماسيين الأوروبيين من سفراء وقناصل تأثير مباشر في تحسين أوضاع الشرقيين وجلبهم إلى الكتلة. فقد دافعوا عنهم أثناء الاضطهاد لدى الباب العالي والباشوات الأتراك، وكان دفاعهم مستنداً إلى الصداقة الشخصية لا غير. وكان الكثيرون من القناصل في مدينة حلب ودمشق وصيدا وغيرها من المدن الشرقية أصحاب سيرة حميدة وتقوى راسخة، اختلطوا بالشرقيين في المجتمعات والكنائس، فاطلع هؤلاء على فضائلهم، ومالوا إلى المذهب الكاثوليكي، واتحد الكثيرون منهم بالكنيسة الرومانية. وقد تجلّى عمل الدبلوماسيين الغربيين بنوع خاص في أمرين هامّين، ألا وهما حمل البطارقة والشعب على انتخاب أساقفة كاثوليكين، ودفع الحكومة العثمانية إلى الاعتراف بالبطارقة والأساقفة الكاثوليكين وتحريرهم من تبعة البطارقة غير الكاثوليك تحريراً سياسياً. هذان الأمران قد مكّنا المذهب الكاثوليكي من الانتشار في معظم مدن الشرق، وسمحا للطوائف الكاثوليكية الناشئة بأن تتمتع بكيان شرعي، وتردهر في ظلّ القانون بحرية واسعة<sup>١</sup>.

## الكنيسة السريانية

### الكاثوليكية في لبنان

حرمت الطائفة السريانية الكاثوليكية بعد وفاة البطريرك اغناطيوس بطرس شهبادين سنة ١٧٠٢ من راع يدبر شؤونها مدة ثمانين عاماً. وكان الحبر الأعظم قد أقام خلفاً للبطريرك نائباً بطريركياً، وكان النواب البطريركيون يقيمون بلبنان، وينتقلون

---

١ - يتيم وديك، مرجع سابق، ص ٢٨٩.

إلى حلب ودمشق من وقت لآخر لمدد قصيرة، يتفقدون في خلالها شؤون كنيستهم، ثم يعودون إلى مقر إقامتهم. ودامت الأمور على هذه الحال حتى سنة ١٧٨٣، حين انتخب السريان الكاثوليك لهم بطريركاً حمل لقب "بطريرك أنطاكية"، وهو البطريرك ميخائيل جروه. وقد اهتم بطاركة الروم الكاثوليك بشؤون السريان الكاثوليك اهتماماً كبيراً في تلك الحقبة، فالبطريرك كيرلس طاناس (ت ١٧٥٩) الملكي الكاثوليكي رسم للطائفة السريانية أربعة أساقفة، منهم نائبان بطريركيان هما: المطران غريغوريوس نعمة القدسي سنة ١٧٣١، وخلفه غريغوريوس جبرائيل فيزون سنة ١٧٤٠، وقد أقاما في دير مار إفرام الغرم في الشبانية من أعمال المتن في لبنان<sup>١</sup>.

لم يكن حظ البطريرك السرياني الكاثوليكي الثالث (١٧٨٣ - ١٨٠١) بأفضل من حظ سلفيه. هذا البطريرك هو ميخائيل الثالث جروه الذي اضطر هو الآخر إلى اللجوء إلى لبنان.

ففي أواخر القرن الثامن عشر نشطت فكرة الاتحاد مع روما بين السريان المونوفيزيين، فاعتنق العديد منهم الكتلكة في مدن حلب وماردين والموصل، وبينهم عدة أساقفة. وفي تلك الحقبة، عقد البطريرك السرياني المونوفيزي جرجس الرابع مجعاً سنة ١٧٨٢ حضره أساقفة الكنيسة السريانية المونوفيزية، وكان بينهم المطران ميخائيل جروه رئيس أساقفة حلب. وكان ميخائيل ميلاً إلى الكتلكة يؤيدها ويدافع عنها، فأخذ يزرع في قلوب الأساقفة الملتزمين في المجمع فكرة الاتحاد بالكنيسة الرومانية، وجعل يدعو الناس إليها بحماسة. ونجح لدى أبناء رعيته نجاحاً باهراً،

---

١ - ينهم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ٣٤٢.



فاعتق كلَّ سريان حلب المذهب الكاثوليكيّ، أمّا في الموصل فلم يقبل الكثلكة إلاّ كاهنان وبعض أفراد الشعب. ولمّا مرض البطريرك السريانيّ المونوفيزيّ جرجس الرابع سنة ١٧٨٢ وأشرف على الموت، عاده بعض الأساقفة والكهنة والوجهاء ورجوه أن يعيّن من يخلفه لئلاّ تنقسم الطائفة على نفسها بعد وفاته. فعين المطران ميخائيل جروه خلفاً له. فانطلق ميخائيل إلى ماردين حيث راح يبشّر بالمذهب الكاثوليكيّ، فانضمّ إليه كهنة هذه المدينة وكثير من المؤمنين وخمسة من الأساقفة. وفي ماردين، انتخب ميخائيل جروه بطريركاً لعموم الكنيسة السريانيّة، وجرى الاحتفال بتتصيبه في ٢٢ كانون الثاني (يناير) ١٧٨٢ في دير الزعفران. ولكن بعد ثلاثة عشر يوماً قام معارضو الكثلكة من أساقفة الإكليروس السريانيّ المونوفيزيّ بانتخاب بطريرك آخر، هو المطران متى أسقف الموصل، فسارع الأتراك إلى الاعتراف به بدعم من بطريرك الأرمن الغريغوريين، وخلعوا جروه وألقوه في السجن ببغداد<sup>١</sup>.

بعد خروجه من السجن، تسلّل البطريرك غناطيوس ميخائيل جروه من بغداد ليلاً خفية متكرّراً بثوب الأعراب في ٦ آذار (مارس) ١٧٨٤، ومشى بصحبة رفيقين حتّى وصلوا إلى خارج المدينة. ومن هناك، استكروا خمسة جمال يقودهم ثلاثة إعرابيين لقاء مائة ليرة ذهبية، وقد صحب البطريرك الشمّاسان يعقوب بوظو، وزكريّا، ثم لحق بهم الشمّاس توما إضافة إلى خادم البطريرك: دانيال. وسار القوم في القفر الخالي من الماء والقوت، والغني بالوحوش الضارية وسفّاكي الدماء. ولقد آسوا من الجوع

---

١ - بيلوني، مرجع سابق، ص ١٥٥ - ١٥٧؛ يتيم ونيك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، ص ٣٤٣ - ٣٤٤.

والعطش وركوب الجمال ليلاً نهاراً ما جعلهم يتحققون من موتهم المحتّم، خاصة بعد أن دبّت القروح في أجسادهم، وقد نَزَف البطريرك دماء كثيرة فبدأ لصحبه أنه لن ينجو إلا بأعجوبة. ولكنهم تمكنوا، على هذا المنوال، من الوصول إلى تدمر بعد خمسة عشر يوماً مختصرين مسافة يلزمها ستون يوماً من المسير. وفي تدمر تخلى الإغرابيون المرافقون عن البطريرك وصحبه إذ وصلت إلى أذانهم أخبار ملاحقة والي الشام لهم. غير أن إغرابياً آخر من تدمر حنّ على القوم وأركب البطريرك جملة مخاطراً بحياته ونقله إلى القريتين. ومن هناك ركبوا الحمير مصطحبين معهم أناساً مسلمين ليوصلوهم إلى قرب الشام، وقد رفض أهالي قرية العدرى المسلمون إيواءهم، ما اضطرهم إلى التخيّي مدة يومين في القفر، ومعهم الإغرابي الذي قبض ثمن خدماته ما طالب. وإذ أرسل البطريرك ساعياً إلى الكاهن السرياني وجماعته في الشام ليخبرهم سرّاً بوصوله، ارتعد الكاهن فأجبن، وردّ الساعي ومعه كتاب للبطريرك فيه أنه ورعيته يخافون التظاهر بكونهم من جماعة البطريرك. فلم يكن أمام القوم سوى التسلّل، بكلّ ما في ذلك من صعوبات، إلى جبل كسروان في لبنان. فوصلوه يوم السبت العظيم ليلة أحد القيامة من سنة ١٧٨٤، ونزل جروه في دير خرب في بيت شباب هو دير ما أنطونيوس النبع. أمّا صحبه فقد تفرّق بين ماردين وحلب ومصر وسواها، ولم يبق معه سوى اثنين.

بعد انقضاء الربيع على البطريرك السرياني الكاثوليكيّ لاجئاً إلى ذلك الدير الخرب، قصد بيت أحد الفلاحين في بيت شباب، وهو جريس أبي فياض، فاستأجره في ٧ آب (أغسطس) ١٧٨٤. في هذه الأثناء حضر إلى البطريرك المطران أيونيس نعمة الله الصديّ، وكان من أصدق المطارنة ولاءً له، وكان معه شماسه، فأصبحت القافلة تضمّ ستّة أشخاص ليس لديهم من وسائل العيش أدناها. ثم سار البطريرك وصحبه إلى

كسروان حيث استأجروا بيتاً صغيراً في ٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٧٨٤ على أن يدفعوا إيجاره الزهيد شهرياً لمدة سنتين.

نلك المكان، الذي استأجره البطريرك السرياني الكاثوليكي غناطيوس ميخائيل جروه الحلبي نهاية سنة ١٧٨٤، كان قد بناه الخوري مارون الطرابلسي الماروني ديراً صغيراً على اسم سيّدة النجاة على شرفة درعون، فعُرف بدير الشرفة. والخوري مارون هذا، هو حفيد الخوري يوسف صالح الدويهي الذي سيم مطراناً عام ١٧٢٨ على البترون بوضع يد البطريرك يعقوب عوّاد (١٧٠٥ - ١٧٣٣) وسمّاه إسطفانوس الدويهي، وهو الذي أصبح في ما بعد بطريركاً على الطائفة المارونية، وهو من أبرز بطاركتها، وهناك اليوم دعوى طلب تطويبه.

كانت الأرض التي بنى عليها الخوري مارون طرابلسي دير الشرفة ملكاً للشيخ نوفل الخازن، وقد قرّر المشايخ الخوازنة في تمّوز (يوليو) ١٧٥٤ أن يبيعوها من القسّ مارون بثمان زهيد، شرط أن يبني عليها مدرسة يعلم فيها الفتيان مبادئ السريانية والعربية والأصول الدينية، وهذا ما يدلّ عليه صكّ البيع المحفوظ في دير الشرفة.

ما لبث البطريرك جروه أن اشترى هذا الدير بمبلغ ٢٥٠٠ قرش، ألفاً منه تبرّع به الشيخ غندور السعد<sup>١</sup>. وابتداءً من صيف ١٧٨٦ راح البطريرك يشيّد بعض الغرف لسكناء وحاشيته والتلامذة الذين أزمع أن يستحضرهم من أطراف البلاد. وفي سنة

---

١ - الشيخ غندور السعد (١٧٥٧ - ١٧٩٠): من أعيان لبنان، ولد في رشميا قضاء عاليه، خلف والده سعد الخوري كمدير للأمير يوسف الشهلي، عُيّن قسلاً في بيروت ١٧٨٧، لحق بالأمير يوسف إلى عكا حيث كان معتقلاً ليقتنيه بالمال بناء على طلب فجزّار الذي أخذ منه المال وأمر بقتله غراً بعد قتل الأمير يوسف.

١٧٨٧ أطلق على الدير عنوان: دير الكرسي. وكتب مراراً في دفتر حساباته يقول: بيان ما نصرفه على دير الكرسي. وجعل يوقع مناشيره وعرائضه الرسمية بعبارة: صدر عن كرسينا الأنطاكي في دير سيّدة النجاة. وفي ٢٣ أيار (مايو) ١٧٨٧ منح البابا بيوس السادس البطريك من أنيل جروه البراءة الرسولية.

استقرّ البطريك السريانيّ اثوليكيّ في كرسيّه الجديد على شرفة درعون من كسروان لبنان، وراح يرسل الأبرشيّات ويطلب شتباناً ممتازين بالتقوى والذكاء، ميّالين إلى الروح الكهنوتيّ، وقد لبّى الدعوة فريق من هؤلاء حضر إلى دير الشرفة، وراح أعضاؤه يقتبسون الفضيلة والعلم حتّى ارتقوا إلى رتبة الكهنوت. وفي عام ١٧٨٩ بدأ البطريك يبعث الشبان إلى روما ليكملوا علومهم. وهكذا دبّت الحياة في الكنيسة السريانيّة الكاثوليكيّة على يد هذا البطريك القدير، الذي جاهد جهاد الأبطال في سبيل رسالته. وفي وقائع لجوئه إلى هذه المنطقة من الشرق نموذج معبّر جداً من تلك الوقائع المماثلة التي جعلت لبنان وجبله ملجأ للأقليات المضطهدة. ومثل كثير من الأديار، العائدة لمختلف الكنائس المسيحيّة، انطلق دير الشرفة في رسالته الإكليريكيّة، وكان من أوائل أساتذة مدرسته المطران يוניوس نعمة الله الصديّ، رفيق البطريك، والمطران أنثاسيوس موسى صباغ الروميّ الملكيّ.

ويحفظ رؤساء هذه الكنيسة الجميل للدولة الإسبانيّة لأنّها في أخرج الظروف ساعدت المؤسّس، بدءاً من ملكها وملكتها، وصولاً إلى وزرائها وسانتها وسيّداتها. وفي أرشيف دير الشرفة من الوثائق والصكوك ما يفيد عن العون الكبير الذي قدّمه الإسبان لهذا الدير ومعهدّه، وأخصّ هؤلاء الدوقة دي هيرموزا التي أسعفت البطريك بمبالغ طائلة لتعزيز الدير ومعهدّه. ويعدّ دير

الشرفة اليوم من أكبر أديار لبنان حيث لا يزال يشهد لحقيقة كون هذا الجبل موئلاً للمضطهدين<sup>١</sup>.

ويذكر مؤرّخو الكنيسة السريانية الكاثوليكية أنّ دير الشرفة راح يزخر بالرهبان والتلاميذ يتتقّفون فيه بالعلوم والفضائل الكهنوتية وينطلقون إلى الرسالة في جميع بلدات وقرى سورية وما بين النهرين وتركيا. وقد حافظ السريان الكاثوليك على كرسيتهم البطريركي في ماردين بالرغم من أنّ بعضاً منهم جلس في حلب والموصل أو في دير الشرفة. ونلاحظ أنّ للسريان المونوفيزيين كنيسة حديثة نسبياً في ماردين<sup>٢</sup> على اسم مار بطرس أنشئت سنة ١٨٨٥ وجُددت سنة ١٩١٥، ولهم كنيسة في حيّ الشمسية بماردين على اسم مريم الطاهرة أنشئت سنة ١٨٨٧. أمّا السريان الكاثوليك فكانوا قد تفرّدوا بكنيسة القنيسة شموني ثمّ قضوا مدّة في كنيسة الأربعين. فحدث من جراء ذلك شغب وفتن، فرأى بطاركتهم أنّ يشيّدوا لجماعتهم كنائس حديثة منعاً للمشاحنات، فأنشأ البطريرك أنطون سمحيري في ماردين كنيسة على اسم العذراء سنة ١٨٦٠، كما بنى البطريرك جرجس شلحت ديراً

---

١ - مفوّج طوني، الموسوعة اللبنانية المصوّرة، الجزء الثالث مكتبة البستان (بيروت، ١٩٧١) من ١٠٢ - ١٠٥، تحقيق مصلح: الدريبي البطريرك إسطفوس، بطرقة الطائفة المارونية، المطبعة الكاثوليكية (بيروت، ١٩٠٢)؛ الحقّوني الخوراسقف منصور، المقاطعة الكسروانية (لا.ت.)؛ داغر الخوراسقف يوسف، بطرقة المارونية، المطبعة الكاثوليكية (بيروت، ١٩٨٥)؛ لؤمّة الخوري إسحق السرياني، تاريخ سيّدة النجاة أي دير الشرفة ١٧٨٦ - ١٩٤٦، مطبعة الآباء اللبنانيين (جونيه - لبنان ١٩٤٦).

٢ يذكر الأب إسحق لؤمّة في كتابه "قصارى في نكبات النصرى" من ٣٤، أنّ عدد السريان عموماً في ماردين كان يبلغ عشرة آلاف نسمة أغلبهم من جماعة السريان القديم (المونوفيزيين) ولسبب تحاد السريان الكاثوليك مع الأرمن بمسألة الدين صوّب أعداء النصرانية نحرهم الغضب والحدود ونكّلهم شدّ التنكيل وفتكوا بوجههم، وزدّ أنّ الفقر ضرب لبنان على محملهم واتهم الجوع والوباء قسماً صالحاً منهم.

فخماً على اسم مار افرام سنة ١٨٨٤، وأقاموا كنيسة على اسم مار آسيا في شرقي البلاد<sup>١</sup>.

على الصعيد البطريركي، تَبَّت الحبر الأعظم في سنة ١٨٣٨ انتخاب البطريرك بطرس جروه<sup>٢</sup>، فكانت بطريركيته الطويلة مزيج أفراح وأحزان متواصلة. وفي سنة ١٨٣٠ نقل هذا البطريرك مقرّ الكرسي من دير الشرفة إلى حلب، وأقام بها. وفي سنة ١٨٤٥ تحرّرت الكنيسة السريانية الكاثوليكية من تبعة البطريرك المونوفيزي تماماً، فاهتمّ البطريرك بطرس جروه بجمع شمل أبنائه وتنظيم كنيسته وإعادة الحياة إليها. وكان جميع سريان حلب قد اعتنقوا المذهب الكاثوليكي، وانضمّوا إلى كنيسته، فكانت الكاتدرائية السريانية الجميلة تحت تصرّفه، وجدّد افتتاح دير الشرفة، واشترى في حلب خمسة أبنية. ونقل إلى هذه المدينة كلّ ما كان في دير الشرفة من أوان مقدّسة وملابس كهنوتية ومخطوطات ثمينة. إلّا أنّ الأتراك قد انقضّوا عليها سنة ١٨٥٠ وأحرقوها، وضربوا البطريرك ضرباً فاحشاً، فمات بعد هذه الأحداث الأليمة بمدة وجيزة سنة ١٨٥١، وقد امتلأت نفسه كآبة ومرارة.

وكان البطريرك بطرس جروه عالماً كبيراً، وخطيباً مفوّهاً، و كاتباً بارعاً، وقد طبع عدّة مقالات دينية نقل بعضها عن الإيطالية. وأدخل في الطقس

---

١ - أرملة، القصارى في نكبات النصرى، ص ٣٢ - ٣٣.

٢ - سلسل الأب إسحق أرملة في كتابه "القصارى في نكبات النصرى" ص ٣٣، البطركة السريان لاثوليك على لشكل التالي: خلف السيّد اندروس لأخيجه السيّد غناطيوس بطرس شهبادين (ت ١٧٠١) ثمّ توج السيّد غناطيوس ميخائيل جروه (ت ١٨٠٠) بطريركاً أنطاكيّاً في دير الزعفران على علامة السريان، وخلفه السيّد غناطيوس ميخائيل ضاهر (ت ١٨١٧)، فالسيّد غناطيوس سمعان زوره (ت ١٨٣٨)، فالسيّد غناطيوس بطرس جروه (ت ١٨٥١)، فالسيّد غناطيوس أنطون سمحيري (ت ١٨٦٤)، فالسيّد غناطيوس فيلبس عركوس (ت ١٨٧٤)، فالبطريرك غناطيوس جرجس شلحت (ت ١٨٩١)، فالبطريرك غناطيوس بهنم بني (ت ١٨٩٧)، فالبطريرك غناطيوس أفرام رحمتي عام ١٨٩٨ الذي قُتل السيّد ثوفيلس جبرئيل تيوني نائباً عاماً للطائفة على ملدين وتوليها.

الكنسيّ عادة التقديس بمواجهة الشعب يوم خميس الأسرار، واستبدل الحساب الغريغوريّ بالحساب اليوليّ في ٢ حزيران (يونيو) ١٨٣٦<sup>١</sup>.

بعد وفاة البطريرك بطرس جروه بثلاث سنوات، خلفه على الكرسيّ السريانيّ الكاثوليكيّ الأنطاكيّ البطريرك أنطون سمحيري (١٨٥٤ - ١٨٦٤). كان هذا البطريرك أسقفًا سريانيًا مونوفيزيًا، ثمّ مفرانًا شديد التمسك بمعتقدات كنيسته وتعاليمها. إلى أن عثر يومًا في مكتبة دير الزعفران المونوفيزيّة على نصوص شهادات الإيمان التي كتبها بعض البطارقة السابقين، فقرأها بإمعان نظر، فإذا هي تؤكد بصرامة على صحّة المذهب الكاثوليكيّ، ما جعله ينطلق إلى ديار بكر، ليعرض على البطريرك جرجس الخامس السريانيّ المونوفيزيّ أن ينضمّ هو وأبناء كنيسته جميعًا إلى الكنيسة الرومانيّة. فاعترف البطريرك بصحّة التعليم الكاثوليكيّ، ولكنّه رفض الاتحاد بالكنيسة الرومانيّة إلى أن تنهياَ الفرص المؤاتية. وغادر المطران أنطون مدينة ديار بكر منتقلًا إلى ماردين، حيث راح يبشّر الناس بالمعتقد الكاثوليكيّ. وفي ١٧ نيسان (إبريل) ١٨٢٧ صرّح في ماردين بإيمانه الكاثوليكيّ أمام مطران طائفة الأرمن الكاثوليك يواكيم طازبازيان، واتّحد بالكنيسة الرومانيّة اتّحادًا رسميًا<sup>٢</sup>.

لاقى المطران أنطون سمحيري عذابًا شديدًا في عهد البطريركين المونوفيزيين جرجس الخامس سيّار وإيليّا الثاني عنكز. ولمّا أُطلِعَ عام ١٨٤٧ عاد السلام إلى الطائفة السريانيّة الكاثوليكيّة، فشرع بشيء من الهدوء والسكينة. ولمّا توفّي البطريرك

---

١ - يتيّم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، ص ٣٤٤.

٢ - يتيّم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، ص ٣٤٤ - ٣٤٥.

بطرس جروه سنة ١٨٥١، توجّهت الأبصار إلى المطران أنطون. فعقد الأساقفة السريان الكاثوليك في دير الشرفة مجعاً، وانتخبوه بطريركاً في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٥٣. وإثر انتخابه، نقل البطريرك الجديد مقرّ بطريركيّته من حلب إلى ماردين، حيث بنى كاتدرائيّة. ثمّ سافر إلى أوروبا ليجمع التبرّعات ويرمّم الخراب الذي حدث سنة ١٨٥٠. وقابل في أثناء رحلته بعض ملوكها، وأضحى عراباً للأمير لويس بن نابوليون الثالث. وقد جمع خلال رحلته إلى أوروبا أموالاً طائلة، وأتى لكنيستته بملايس ثمينة قبل أن يوافيه الأجل في ١٦ حزيران (يونيو) ١٨٦٤، بعد أن قضى حياة مليئة بالجهاد في سبيل المعتقد المسيحي<sup>١</sup>.

خلف البطريرك أنطون سمحيري على الكرسيّ السريانيّ الأنطاكيّ الكاثوليكيّ البطريرك فيلبس عرقوس (١٨٦٤ - ١٨٧٤)، الذي دافع عن امتيازات الكنيسة الشرقيّة في المجمع الفاتيكانيّ الأول (١٨٦٩ - ١٨٧٠) وانضمّ إلى الأقلّيّة لتحديد عصمة البابا. وانتخب بعده البطريرك الشهير جرجس شلحت (١٨٧٤ - ١٨٩٢)، وهو من مواليد حلب، وكان أسقفها ١٨٦٤ - ١٨٧٤ قبل ارتقائه السدة البطريركيّة، وقد ترك في حلب آثاراً كبيرة من أعماله. وفي عهده انضمّ إلى كنيستته ثلاثة أساقفة وثمانية آلاف نسمة. وأسّس سنة ١٨٨٤ بقرب ماردين جمعيّة رهبانيّة غايتها التبشير في القرى المجاورة. وقد قام أفرادها بأعمال جليلة، لكنّ الجمعيّة اضمحلّت إثر النكبة التي حلّت بالمسيحيّين في تلك المنطقة إبّان الحرب العالميّة الأولى (١٩١٥). واهتمّ شلحت بتنظيم شؤون كنيستته اهتماماً ملحوظاً، فترأس سنة ١٨٨٨ مجمع الشرفة الذي كان له الفضل الأعظم

١ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، ص ٣٤٤ - ٣٤٥.



في ترتيب الأمور الكنسية. ولا تزال الكنيسة السريانية حتى اليوم تتبع ترتيبات ذلك المجمع. وبنى البطريرك شلحت معبد دير الشرفة، إلى أن توفي الله هذا البطريرك الجليل في ٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٢. وقد اشتهر في عهده المطران قليمس داوود أسقف دمشق (١٨٧٩ - ١٨٩٠) الذي عهد إليه البطريرك شلحت ضبط كتب الصلوات القانونية في ستة مجلدات، وقد اعتُبر هذا الأسقف من كبار علماء عصره، اشترك في اللجنة التحضيرية للمجمع الفاتيكاني الأول يوم كان كاهناً، وبرع في كل فن وكان جوابه دائماً حاضراً على أي مسألة، وقد قيل عنه "إنه سند العلوم الشرقية واللغات السامية والفنون الطقسية كافة".

بعد البطريرك شلحت نُصّب بهنام بنّي بطريركاً على الكنيسة السريانية الكاثوليكية الأنطاكية في ١٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٩٣. وكان من قبل مطراناً على الموصل منذ ١٨٦٢، حضر أسقفًا المجمع الفاتيكاني الأول، وألقى في جلساته عدة خطابات أظهر فيها ميله إلى تحديد عصمة البابا، ولمّا أصبح بطريركاً لَبّى دعوة البابا لاون الثالث عشر، فسافر إلى روما سنة ١٨٩٤ وانضمّ إلى سائر بطاركة الكنائس الشرقية الكاثوليكية، واشترك وإياهم في المحادثات الدينية التي أجروها مع الحبر الأعظم في ما يتعلّق بأوضاع الكنائس الشرقية والامتيازات البطريركية.

توفي البطريرك بهنام سنة ١٨٩٧. ووُصف بأنّه كان رجلاً كريماً عالماً صاحب ثقافة واسعة ونكاه حادّ، ومعارف غزيرة، اهتمّ في حياته بتربية الإكليروس، فعهد إلى الرهبان الانتقاليين LES ASSOMPTIONNISTES إدارة مدرسة دير الشرفة الإكليريكية،

فخدمت هذه المدرسة الكنيسة السريانية الكاثوليكية خدمات جلّی، وقّمت لها كهنة مثالین في الغيرة والنشاط والتضحية<sup>١</sup>.

خلف البطريرك بهنام البطريرك غناطيوس افرام الثاني رحمانی (١٨٩٨ - ١٩٢٩) الذي كان أولاً نائباً بطريركياً في القسطنطينية، ثم رئيس أساقفة بغداد، رئيس أساقفة حلب ١٨٩٣، وانتخب بطريركاً لكنيسة السريان الكاثوليك في ٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٩٨. وكان البطريرك رحمانی صاحب فضيلة سامية وعلم زاخر، فجلب بغيرته الرسولية كثيراً من السريان الأرثوذكس إلى المذهب الكاثوليكي، ونشر عدة مؤلفات دينية وتاريخية، لها قيمة علمية رفيعة. واهتم هو الآخر بتربية المرشحين إلى الحياة الكهنوتية، فعهد سنة ١٩٠٢ إلى الرهبان البنديكتيين تأسيس مدرسة إكليريكية للسريان الكاثوليك على جبل الزيتون في القدس. وأسس جمعيتين رهبانيتين نسائيتين، الأولى في حريصا بלבناو والثانية في ماردين. فاستشهدت راهبات ماردين سنة ١٩١٤ إبان الحرب العالمية الأولى، وانضمت راهبات حريصا إلى راهبات الوردية التابعة للبطريركية اللاتينية في القدس. وقد جعل البطريرك غناطيوس مركزه في بيروت بتفويض من الحبر الأعظم، وتوفي سنة ١٩٢٩<sup>٢</sup>. وحاول البطريرك غناطيوس افرام الثاني رحمانی نقل الكرسي البطريركي من ماردين نهائياً إلى لبنان، إلا أن البطريرك الكردينال جبرائيل تبوني هو الذي سيركز أخيراً الكرسي البطريركي في بيروت منذ سنة ١٩٣٠<sup>٣</sup>.

---

١ - المرجع السابق.

٢ - المرجع السابق.

٣ - الجميل المطران ميخائيل، كنيسة السريان الكاثوليك، مرجع سابق، ص ١٣٤ - ١٣٥.

فقد خلف البطريرك غناطيوس افرام الثاني رحماني بعد وفاته البطريرك جبرائيل تبّوني المولود في الموصل سنة ١٨٧٩، دخل، وهو في الثالثة عشرة من عمره، مدرسة الآباء الدومينيكان في المدينة نفسها. وتلقّن فيها العلوم الكهنوتية، وسيم كاهنًا سنة ١٩٠٢، رقيّ إلى الدرجة الأسقفية سنة ١٩١٣، فتولّى شؤون النيابة البطريركية في ماردين. وفي أثناء الحرب العالمية الأولى، تجلّت محبته لرعيته بأروع مظاهرها، فدافع عنها دفاع الأبطال. وفي سنة ١٩١٩ عيّن نائبًا بطريركيًا على أبرشية حلب، ثمّ أسقفًا لها. وفي ٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٢٩ عقد أساقفة الكنيسة السريانية الكاثوليكية مجمعًا في دير الشرفة، وانتخبوه بطريركًا. رقاّه الحبر الأعظم البابا بيوس الحادي عشر إلى رتبة كردينال الكنيسة الرومانية سنة ١٩٣٥. وقد اشترك البطريرك تبّوني في أعمال المجمع الفاتيكانيّ الثاني. توفي في بيروت في ٢٩ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٨. فانتُخب خلفًا له مطران حلب مار ديونوسيس أنطون حايك، وهو من مواليد حلب عام ١٩١٠، أصبح أسقفًا على حلب في ١٥ آب (أغسطس) ١٩٥٩، وبطريركًا في ١٠ آذار (مارس) ١٩٦٨. وقد جند دير الشرفة، وأحيا الرهبانية الإفرامية النسائية. وله عدة مؤلفات تاريخية<sup>١</sup>.

انتشرت الكنيسة السريانية الكاثوليكية انتشارًا سريعًا وتقدّمت في العلوم والفكر والروح ونظّمت أحوالها وعقدت مجامع عدة أشهرها مجمع الشرفة عام ١٨٨٨ الذي نظّم الشرع الخاص بها. ولهذه الكنيسة اليوم أبرشيات ونيابات بطريركية في لبنان وسورية والعراق ومصر وفلسطين وتركيا، ولها إرساليات ورعايا في باريس والسويد ونيوجيرسي ومونتريال وفنزويلا والبرازيل وسيدني وديترويت وجاكسون فيل —

١ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ٣٤٧.

فلوريدا ولوس أنجلوس. ولها نشاطات ومؤسسات عديدة منها: إكليريكيّا دير الشرفة والراهبات الإفراميات في درعون، وميتم بيت الفتاة، وجمعيات خيرية، ومجالس استشارية ورعوية، وأندية رياضية، ومستوصفات مجانية، ومركز للبحوث والدراسات السريانية، ومكتبة مخطوطات ثمينة وأخرى للمطبوعات، وأربع مدارس، وخمسة أديرة<sup>١</sup>.

## السريان الكاثوليك اليوم

وفي النهاية، نلاحظ أنّ تاريخ كنيسة السريان الكاثوليك قد مرّ في ثلاث مراحل: الأولى، كان فيها للبطريرك السريانيّ لقب "بطريرك حلب" وقد امتدّت من سنة ١٦٦٢ إلى سنة ١٧٠٢؛ الثانية، كان فيها الكرسيّ البطريركيّ شاغراً، وكان يسوس الطائفة النواب البطريركيّون، وقد امتدّت من سنة ١٧٠٢ إلى سنة ١٧٨٣؛ وفي الثالثة، أُعيدت البطريركية السريانية إلى الوجود في قلب البطريركية الأنطاكية، وقد اتخذت لها مقراً في مدن مختلفة، كان آخرها لبنان.

بينما ذكرت مراجع أنّ عدد السريان الكاثوليك اليوم في العالم يناهز نصف مليون نسمة، ذكرت دراسات أخرى أنّ عدد المقيمين منهم في البلدان العربية، يبلغ اليوم نحو ٥٥ ألف نسمة، أكثرهم في سورية ولبنان<sup>٢</sup>. وأكّد

---

١ - المرجع السابق، ص ١٣٥.

٢ - إبراهيم د. سعد الدين، للمجتمع والدولة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت، ١٩٨٨)؛ السمّك محمّد، الأقليات بين العروبة والإسلام، دار العلم للملايين (بيروت، ١٩٩٠) ص ٢٤.

باحثون<sup>١</sup> على أن الكنيسة السريانية الكاثوليكية تضمّ حوالي ١٠٠ ألف نسمة، يسكنون في العراق وسورية ولبنان ومصر، وما يقارب ١٥ ألف نسمة في المهجر. ويتوزّع القاطنون منهم في الشرق على: الأبرشية البطريركية، وأبرشيات الموصل و حلب ودمشق وبغداد وحمص وحماه والجزيرة والفرات؛ وثلاث نيابات بطريركية في القدس ولبنان ومصر<sup>٢</sup>. أمّا في بلدان الاغتراب فيسوس أبناء هذه الكنيسة كهنة في اثنتي عشرة إرسالية بدأ تأسيسها رسميًا منذ عام ١٩٧٦، وهي مرشحة للزيادة كلما تمّ للقيمين على مقتررات الكنيسة اكتشاف مواقع أبنائها المشتتين. وقد انقرض أثناء الحرب العالمية الأولى معظم نصارى نواحي ماردين وأورفا وديار بكر، فقُتل أبنائها وأساقفتها وكهنتها. وللريان الكاثوليك رهبانية نسائية تُعرف راهباتها بالإفرايميات؛ وللكنيسة السريانية الكاثوليكية أكثر من ٥٠ مدرسة، فيها حوالي ٩ آلاف طالب وطالبة<sup>٣</sup>.

---

١ - بيّيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ٣٤٨.

٢ - بيّيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ٣٤٨؛ حذّكت مراجع أخرى أبرشيات الكنيسة السريانية الكاثوليكية بشمالي لبرشبات (بيروت، دمشق، حمص وحماة والنبك، حلب، نصيبين والحسكة، الموصل، بغداد، والقاهرة) وثلاث نيابات بطريركية (البصرة - العراق، القدس، اسطنبول).

٣ - بيّيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ٣٤٨.



# الكنيسة الأشورية والكلدانية

الكنيسة الأشورية والكلدانية؛ إتيشار الكنيسة السريانية الشرقية؛

إشعاع فكري؛ الأدبار والزهنيات؛

في ظل بداية الإسلام؛ الإتكاسات الخطيرة؛

إمتناع الكنيسة السريانية الشرقية في بلاد آشور؛ من مآثر الترك؛ آشوريون وكدان؛

كنيسة الكلدان في العهد الأخيرة؛ كنيسة الشرق الأشورية في العهد الأخيرة.





# الكنيسة الآشورية والكلدانية

أسس الفرع الشرقي للكنيسة السريانية، أو الكنيسة المشرقية كما يدعوها أتباعها تقاخراً، عند منصرم القرن الثاني للميلاد. ولكن هذه الكنيسة تعتبر أنها، بتعاليمها وطقوسها وتقاليدها، تعود إلى عهد أقدم بكثير، أي إلى عهد الملك أبحر ملك إيسا أو الرها، الذي كان معاصراً للسيد المسيح. وتقول الرواية إن هذا الملك، أبحر الأسود، بعث برسالة إلى السيد المسيح يدعو فيه إلى زيارة إيسا، ليشفيه من داء النقرس الذي كان مصاباً به. غير أن السيد المسيح وعده بأنه سيرسل إليه رسولاً بعد صعوده إلى السماء. وفي رسالة السيد المسيح له يقول "إنك ستشفى لأنك آمنت بي ولم ترني".

ويعتبر أكثر مؤرخي الكنيسة أن الرسول الذي انطلق إلى الرها ليشفي ملكها أبحر الخامس المعروف أيضاً باسم "كاما الأسود" هو تداوس المعروف أيضاً باسم أداي. وأنه هو الذي بشر بالمسيحية في الرها، وواصل الرسالة تلميذه "أجي" الذي استشهد

---

١ - حنّي، لبنان في التاريخ، ص ٣٠٨، عن: الأطلقي يحيى بن سعيد، في بن البطريق، ٧: ٣٦٣ - ٣٦٤.

في الرها. ومن تلاميذ أداي أيضًا "ماري" الذي مدّ تبشيريه إلى المدائن، وقد ورد ذكر لأعماله في سير الشهداء القديسين<sup>١</sup>، وفي "مجدل" ماري بن سليمان دلائل تشير إلى مجيئه إلى المدائن في نحو نهاية القرن الأول<sup>٢</sup>، واستطاع أن ينال حظوة لدى أمير طيسفون الذي وهب له فيها قطعة أرض في منطقة كوشي (الأكواخ) في ضاحية المدينة فأسس فيها الكنيسة الأولى. ومن هناك ذهب إلى مناطق أخرى للتبشير، ثم حطّ رحاله في "نور قنّ" حيث تُوفي ونُفن.

هذه الكنيسة، تُعتبر الفرع الشرقي للكنيسة السريانية، وهي التي جمعت بين لاهوت المسيح وناسوته، واستتكرت تأليه السيدة العذراء، والتي نُسبت في وقت متأخر عن تاريخ نشونها إلى الراهب نسطوريس<sup>٣</sup> (حوالي ٣٨٠ - ٤٥١) بطريرك القسطنطينية (٤٢٨ - ٤٣١) فعُرفت بالنسطورية، أو كنيسة الشرق أو المشرق.

وبما أنّ هذا المعتقد يخالف المعتقد الأرثوذكسي، أي المعتقد القديم الذي تقول به الكنيسة أصلاً، وفحواه أنّه بالرغم من أنّه في المسيح طبيعتين، لاهوتية وناسوتية، فإنّ هاتين الطبيعتين اتحدتا في شخص واحد، فقد نبذ مجمع أفسس سنة ٤٣١ تعاليم

---

١ - ليونا الأب كبير أستاذ التاريخ الكنسي، الكنيسة الكلدانية السريانية الشرقية الكاثوليكية، في كتاب: دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، دار المشرق (بيروت، ١٩٩٧) ٢: ٢٠٦، عن: بيجان، سير الشهداء والقديسين (باريس، ١٨٩٠) ١: ٤٥ - ٩٤، وكتاب: سير إدي، شهداء المشرق، ١: ١٤ - ٤٠.

٢ - بن سليمان ماري، أخبار بطريركة كرسيّ المشرق (المجدل)، تحقيق جيسوندي (روما، ١٨٩٩) ص ٣.

٣ - تختلف المراجع في أصول نسطوريس، إذ يحطه بعضها صقليًا وبعضها الآخر قيليقيا، وتعتبر الكنيسة الشرقية نسطور أو نسطوريس من آباء الكنيسة اليونانية لا من الآباء السريان.

نسطوريُس نبذاً قاطعاً ولعن نسطوريُس الذي قضى بقيّة حياته منفياً في الواحات  
الخارجة غرب طيبة<sup>١</sup>.

## إِتْشَارُ الْكَنِيسَةِ السَّرْيَانِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ

رغم ذلك القطع والتحريم من قِبَل المجمع، فقد قدم إلى أفسس بعد قليل من صدور  
المقرّرات العديد من أنصار نسطوريُس وغيرهم من الأساقفة الذين لا يحبّون  
إجراءات الأنبا كيرلس بطريرك الإسكندرية (٤١٢ - ٤٤٤)، وهو معلّم الكنيسة الذي  
ترأس مجمع أفسس وصحب إليه خمسين من الأساقفة المصريين المؤيدين له وكثيراً  
من الهدايا، وهو من آباء الكنيسة القنيسيين رغم ما صدر عنه من تصرّفات تتّم عن  
ضعف بشريّ بحسب بعض المؤرّخين الكنسيّين<sup>٢</sup>. ويبدو أنّه بعد ذلك للتحريم مباشرة  
قد انضمّ أتباع وأشياع عديون إلى المعتقد النسطوريّ في سورية، وما لبثت الكنيسة  
السريانيّة الشرقيّة أن حقّقت للمسيحيّة انتشاراً واسعاً في ديار الأتراك والمغول والتّبت  
والصين واليابان والهند وسيلان وجنوب آسيا في أندونيسيا. فكانت، بحسب العديد من  
الباحثين، العامل الأقوى في الحضارة السوريّة التي طبعت الشرق الأدنى بطابعها، من  
مصر حتّى بلاد فارس. فإنّ جماعة من أبناء هذه الطائفة كان قد أقبل أعضاءها بدءاً  
من القرن الرابع على درس كتب الفلسفة اليونانيّة، وعملوا على نقلها إلى لسانهم

---

١ - كمبي الأب جان، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، ط٢، دار المشرق (بيروت، ٢٠٠٢) ص ١٢٦.

٢ - المرجع السابق.

السرياني، وعلى بثها في سورية والعراق. ثم أخذت هذه الكنيسة في الانتشار شرقاً من الرها حتى تسربت إلى فارس. وفي أواخر القرن الخامس عمّد أسقف العاصمة الساسانية - مدائن كسرى - إلى تنصيب نفسه بطريركاً على الكنيسة الشرقية. وكانت المسيحية قد عاشت قرنينها الأولين هناك تحت حكم الملوك الفرثيين، من الأشخانيين و شاقين، في جوٍّ من التسامح، دون أن تتعرض للاضطهاد العنيف المنظم، وقد استفادت من ذلك لتوطيد كيائها وتنظيم شؤونها الدينية وإنشاء عدد من المراكز الكنسية في طول البلاد وعرضها. وقد فوجئ الساسانيون في بدء عهدهم سنة ٢٢٤ بانتشار المسيحية الواسع في البلاد التي سيطروا عليها.

عامل أردشير الأول، مؤسس السلالة الساسانية، المسيحيين بكثير من الرفق والتسامح، أما خلفه شابور الأول (٢٤١ - ٢٧٢) فقد انقلب تسامحه الأول إلى شيء من الحذر تجاه هذه الديانة الجديدة التي كانت تهدّد بتقويض كيان الديانة المزدية، فأبدى شيئاً من الصرامة تجاه المسيحيين، متأثراً في ذلك بضغط رؤساء الدين المزدى. ولكنه أسهم، من حيث لا يدري، في نشر المسيحية في بلاده. فإن المسيحيين الذين جلبهم من منطقة الروم إلى الشرق، وكان من بينهم ديميتريانس أسقف أنطاكية البيزنطي، والإمبراطور فاليريانس نفسه، وأسكنهم في منطقة الأهواز، كان معظمهم من المسيحيين، ولم يتخلّوا عن ديانتهم في الغربة، بل عاشوها بحرية ودعموا المسيحيين من أهل البلاد. وكانت جماعات مسيحية أخرى قد نزحت منذ القرن الثاني من المنطقة الغربية إلى الشرق، هرباً من وطأة الاضطهاد، منهم الأسقف "تقريطي" الذي حلّ في منطقة "كرخ سلوخ" وهي كركوك الحالية. وبالإمكان القول إنّ المسيحية في القرن الثالث عاشت في ظلّ الملوك الساسانيين في جوٍّ من التسامح والتغاضي، وإن تعرضت

أحياناً لبعض المضايقات الناجمة عن تَزَمّت الكهّان المزدبّين<sup>١</sup>. وقد اختصر باحثون محدثون في شؤون الكنائس الشرقية أنّ الكنيسة النسطورية قد عاشت في ظلّ الملوك الفرس تارة في هدوء وسلام، وطوراً في اضطراب واضطهاد<sup>٢</sup>.

وعلى العموم، كان للكنيسة السريانية الشرقية سجلّ من النشاط التبشيريّ منقطع النظير، والمدافن الأثرية وسواها من الآثار تشهد على وجود كنائس سريانية في أماكن عديدة من الشرق، منها حول الحيرة حيث كانت قبائل المناذرة العربية المتمركزة هناك قد انضمت إلى مذهب كنيسة الشرق، في حين انضمّ الغساسنة الساكنون في منطقة بصرى الشام إلى المذهب المونوفيزي<sup>٣</sup>. أمّا الحيرة، عاصمة المناذرة، فقد أصبحت ملجأ وملاداً أميناً لرؤساء كنيسة الشرق إبّان المحن والصعوبات، ومرقد جثمان العديد منهم بعد موتهم. ومن تلك المدافن الأثرية للسريان الشرقيين في مرو<sup>٤</sup>، وهراة<sup>٥</sup>، وسمرقند<sup>٥</sup>، وفي أماكن أخرى في آسية الصغرى، يعود تاريخها إلى أواسط القرن السادس. ويذكر مؤرّخون محدثون للكنيسة السريانية الشرقية أنّ تلك الكنيسة كانت قد وسّعت نطاق تبشيرها نحو الجنوب الغربيّ ووصلت إلى قلب الجزيرة العربية، وانتشرت في اليمن ونجران ومكة وغيرها من المراكز الهامة في الحجاز، وتجاوزتها إلى عدن وجزيرة سمطرى وعمّان. وقد استفاد

---

١ - ليونا، مرجع سابق، ص ٢٠٨.

٢ - يتيم ودوك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ٣٥٧.

٣ - مرو: مدينة في تركمانستان التي كانت تؤلّف إحدى جمهوريّات الإتحاد السوفياتي، تُعرف اليوم بـ "ماري"، فتحها العرب سنة ٦٥١.

٤ - هراة: مدينة في شمال غربيّ أفغانستان، بناؤها منسوب إلى الإسكندر.

٥ - سمرقند: مدينة في لوزبكستان التي كانت تؤلّف إحدى جمهوريّات الإتحاد السوفياتي، خربها جنزيرخان سنة ١٢٢٩ ثم استولى عليها تيمورلنك وجعلها عاصمته وفيها قبره.

المرسلون الشرقيون من القوافل التجارية المتجهة إلى تلك المناطق لينقلوا إليها أفكارهم الدينية. وقد استخدموا هذه الطريقة ذاتها في الذهاب إلى بلدان إيران الشرقية وإلى الهند حيث وجدوا بقايا من المسيحيين الذين استمروا على ديانتهم منذ عهد توما الرسول<sup>١</sup>. وذكر باحثون أنه في حوالي أواسط القرن السادس، تسَلَّت جنوبًا إلى الهند إرساليات تابعة لهذه الحركة التي عُرِفَتْ اصطلاحًا بـ "الحركة البروتستانتية الشرقية"، حيث كانت للمسيحية قد توثَّقت قبل ذلك بقرنين، فنشأت على ساحل الهند الغربي كنائس سريانية، لا سيَّما في ملبار وسيلان. ولقد عُرِفَ أتباع الطقس السرياني في الهند بـ "تصاري القديس توما" تبعًا لأخبار لا يعول عليها، جعلت من توما (الرسول) المعلم الأول للمسيحية في الهند<sup>٢</sup>. ويعتبر باحثون متعمقون في دراسة الكنيسة السريانية الشرقية أن بوسعهم القول إن حدود كنيسة المشرق كانت تمتد في النصف الأول من القرن السابع من سواحل البحر الأحمر حتَّى بلدان الصين واليابان<sup>٣</sup>.

وكان للكنيسة السريانية الشرقية نشاط بارز على الصعد الفكرية واللاهوتية والعلمية منذ بداياتها. وكانت مدرسة الرها التي أسسها القديس أفرام الملقان سنة ٣٦٣ إثر نزوحه من نصيبين عند استيلاء الفرس عليها، قد انحطَّت بنتيجة الصراعات الفكرية بداخلها في خضمَّ الانشقاقات، فنزح عدد من كبار أساتذتها إلى المنطقة الشرقية، لا سيَّما "برصوما" والملفان "ترساي". وقد توصَّل برصوما إلى أن يقام

---

١ - أبونا، مرجع سابق، ص ٢١٦.

٢ - حَنِّي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ٢: ١٣٥ - ١٣٦.

٣ - أبونا، مرجع سابق، ص ٢١٦.

مطراناً لنصيبين وأفلح مع نرساي في إعادة إنشاء مدرستها التي أصبحت من المراكز العلمية الكبرى في الشرق السرياني. إلا أن برصوما الطموح قارم جثالة المشرق وتسبب في موت واحد منهم هو "بابويه"، كما أنه اضطهد دعاة المذهب المونوفيزي، لا سيما في منطقة نينوى، وقتل عدداً منهم بموازنة السلطة الفارسية الحاكمة. وانفردت كنيسة المشرق في معتقدها النسطوري، وسارت نحو الاستقلال عن الكنيسة السريانية الغربية. وقد كرس مجمع "باباي" سنة ٤٩٧ انفصال كنيسة المشرق هذه بصورة رسمية ونهائية، وراحت أدراج الرياح جميع المحاولات التي بذلها الأمبراطور زينون في سبيل التوفيق بين مختلف المذاهب، ولم يحظ "موسم الاتحاد - هينوتيكون" الذي أصدره بالقبول في كنيسة المشرق، كما أن الفوضى الفكرية أدت إلى إغلاق المدرسة سنة ٤٨٩.

## إشعاع فكري

وتوضيحاً للنشاط الفكري الذي مارسته الكنيسة السريانية الشرقية، يروي باحثون كنسيون محدثون أنه منذ القرن الثاني الميلادي، كان قد ظهر في كنيسة المشرق كتاب وأبناء وشعراء رقدوا اللغة السريانية بمفرداتها الأصلية، وغنّوا الفكرة الدينية، وطوّروا التعبير اللاهوتي.

ففي نهاية القرن الثاني، برز برديسان (ت ٢٢٢) الذي يُعتبر أبا الشعراء السرياني، بالرغم من الطابع الغنوصي الذي يبدو في كتاباته. أما في القرن الرابع، فقد تبلورت الفكرة لدى الجليلي الشهيد مار شمعون برصباغي (ت ٣٤١) من خلال

أحاديثه وتراثيله الدينية. كما اشتهر يعقوب أفراهاط الملقب بالحكيم الفارسي (ت ٣٤٦) بعروضه اللاهوتية المسماة "البيّنات" التي جاءت مشبعة باستشهادات من الكتاب المقدس، وفيها تناول معظم المواضيع الدينية. وكفى هذا القرن فخراً أنه أنجب الملفان العظيم القديس افرام السرياني (ت ٣٧٣) الذي يُعدّ من أكبر عمالقة اللاهوت والآداب السريانية، فكتب نثرًا ونظمًا، وكتابه أكثر من أن تُحصى، وإن لم يبقَ منها إلا القليل، وما زال اللاهوتيون يُدهشون أمام سمو أفكاره وعمق أبحاثه التي تناولت مختلف ميادين العلوم، التفسيرية منها واللاهوتية والفلسفية والأدبية، واستطاع أن يغذي إيمان جيله والأجيال اللاحقة بما علّمه وأنتجه يراعه، وقد أشرف على إدارة مدرسة نصيبين منذ نشأتها نحو سنة ٣٢٥، وحينما استولى الفرس على هذه المدينة، تركها القديس افرام مع أساتذة مدرسته ومعظم طلابها، وتوجّهوا إلى الرها حيث استأنف الملفان نشاطه في "مدرسة الفرس" التي أنشأها في الرها وأدارها حتى وفاته سنة ٣٧٣.

وفي القرن الخامس فرض الملفان نرساي شخصيته، فبعد أن علّم مدّة طويلة في مدرسة الرها، انتقل إلى نصيبين وأنشأ هناك مع زميله برصوما النصيبيني مدرسة أصبحت جامعة مرموقة في كنيسة الشرق، وأنتج قلم نرساي العديد من البحوث والمقالات التي يشير ما بقي منها إلى علمه الغزير وتفكيره العميق وتعبيره العذب، وهو الذي استببط البحر الإثني عشري في الشعر السرياني. ويُعتَبَر باباي الكبير، رئيس دير إيزلا، أكبر لاهوتي في نهاية القرن السادس ومطلع القرن السابع، وكتابه الشهير "في الاتحاد" خير دليل على راحة عقله وسعة آفاقه وعمق مفاهيمه اللاهوتية<sup>١</sup>.

---

١ - أبونا، مرجع سبق، ص ٢١٤ - ٢١٥.



وكان من مدارس السريان المبكرة مدرسة "دير قنّى" التي تُنسب إلى مار ماري الذي بشر المنطقة في نهاية القرن الأول. وهناك من ينسب إنشاء هذه المدرسة إلى مار عبدا في نهاية القرن الرابع. على أنّنا نعتقد أنّ مار عبدا قد جندّها. وكانت تُعتبر لزمن أكبر مدرسة أو كليّة لاهوتيّة في منطقة بغداد. وتخرّج فيها أعظم علماء المسيحيّين، وكان أشراف بغداد يرسلون إليها أولادهم. وسوف تستمرّ هذه المدرسة في العهد العبّاسيّ. وكان من أبرز مدارس السريان المشرقيّين مدرسة نصيبين التي أسّسها يعقوب أسقف نصيبين بعيد سنة ٣٢٥، وأدارها القديس افرام المفلان إلى سنة ٣٦٣. فأغلقت على أثر استيلاء الفرس على هذه المدينة. ثمّ استأنفت نشاطها في منتصف القرن الخامس، وواصلت مسيرتها خلال قرون طويلة. وكانت تحتلّ المرتبة الأولى في الشهرة والكفاءة بين مدارس كنيسة المشرق، وتدرّس فيها جميع العلوم المعروفة آنذاك. وازدهرت خاصّة في منتصف القرن السادس حتّى قيل إنّ عدد طلابها أربى على الألف<sup>١</sup>.

أمّا مدرسة الرها الشهيرة التي أسّسها القديس افرام المفلان سنة ٣٦٣ للمسيحيّين النازحين من نصيبين خاصّة، لذا سُمّيت "مدرسة الفرس"، فقد استمرّ نشاطها طوال قرن وربع القرن، وتخرّج فيها علماء كبار، إلى أن أغلقت سنة ٤٨٩ إثر الخلافات التي تسرّبت إليها بسبب الجدالات العقائديّة الدائرة آنذاك. وكان من أشهر أساتذتها المفلان نرساي. ومن مدارس السريان المشرقيّين مدرسة جنديسابور التي وضع نواتها شابور الثاني (٣٠٩ - ٣٧٩) إذ دعا الطبيب اليونانيّ تيودوسيوس إلى جنديسابور وعهد إليه في تدريس الطبّ وترجمة الكتب اليونانيّة، وأصبحت المدرسة مركزاً هاماً للعلوم

١ - ليونا، مرجع سابق، ص ٢٢٢.

بعد أن التجأ إليها عدد من الأطباء والفلاسفة اليونان الذين اضطهدهم الروم واستقبلهم كسرى الأول أنو شروان (٥٣١ - ٥٧٩) وشاد لهم مستشفى ومدرسة للطب تهافت إليها الطلاب من البلاد كلها. وسوف تشتهر هذه المدرسة في عهد الخلفاء العباسيين الأوائل ويتعاقب على إدارتها آل يختيشوع الذين سوف يزوكون الدولة العباسية بخيرة أطبائهم. وبالإضافة إلى هذه المدارس، كان كل دير يضم مدرسة يتردد إليها الطلاب من المنطقة القريبة من الدير أو من المناطق البعيدة<sup>١</sup>.

ومن أعلام الفكر المسيحي الذين أنجبتهم كنيسة أنطاكية، ثيودوريتس (نحو ٣٩٣ - ٤٦٦) أسقف قورش، الكاتب السرياني الذي وضع مقالات وتاريخاً للكنيسة، وقاوم المونوفيزية في المجمع الخلقيدوني، قبل أن يتهم بالنسطورية وتحرم مؤلفاته للكنيسة الخلقيدونية سنة ٥٥٣.

## الأديار

### والرهبانيات

ما إن انتشرت الحياة الرهبانية في الديار المصرية<sup>٢</sup>، حتى اقتبستها بلاد ما بين النهرين. ثم انتشرت الرهبانية في هذه البلاد فقوضت أركان الوثنية وأحييت معالم الديانة المسيحية<sup>٣</sup>. فكان رجال ونساء يعيشون في البدء حياة رهبانية في وسط

---

١ - راجع: إسحق رفقييل بليو، مدارس الحرق قبل الإسلام (بغداد، ١٩٥٥).

٢ - راجع الجزء العاشر من هذه الموسوعة.

٣ - لؤملة، القصارى في تكلمات النصارى، ص ٣٢ - ٣٣.

العالم وبين نوبيهم، عاكفين على الزهد والصلاة ملتزمين بالمشورات الإنجيلية. وفي القرن الرابع، انتظمت هذه الحياة وتطوّرت إلى حياة جماعية في نطاق أديرة. وسرعان ما انتشرت هذه الأديرة في طول البلاد وعرضها، في سهولها وجبالها. وقام دير "إيزلا الكبير"، الذي أسسه مار ابراهيم الكشكري الكبير بالقرب من نصيبين في منتصف القرن السادس، بدور ملحوظ في تنظيم الحياة الرهبانية في كنيسة المشرق وتحديد صيغتها القانونية وأهدافها الحقيقية. وأصبح هذا الدير منطلقاً لإنشاء أديرة أخرى عديدة في البلاد منذ مطلع القرن السابع، خصّ منها بالذكر بعض مؤرخي الكنيسة السريانية الشرقية المحدثون دير "بيت عالي" في منطقة "العقرة"<sup>١</sup> الذي أسسه يعقوب اللاشومي، وقد أصبح مركزاً هاماً للثقافة زوّد كنيسة الشرق بعديد من رؤسائها وأساقفتها ومرسليها وبخيرة علمائها وأدبائها؛ ودير "الريان هرمزد"<sup>٢</sup> بالقرب من "القوش"<sup>٣</sup> الذي استمرت فيه الحياة الرهبانية إلى عصرنا الحاضر. وينكر المؤرخون أسماء أكثر من عشرين ديراً في منطقة الحيرة وحدها، في عهود ملوكها للخميين والمناذرة<sup>٤</sup>. وكانت بغداد ذاتها، قبل تأسيسها عاصمة للعباسيين وبعده، زاخرة

١ - عقرة: بلدة في العراق، هي اليوم مركز قضاء عقرة في محافظة دهوك، فيها كرسى لسقي للكلدان.

٢ - ذكر الأب إسحق أرملة في كتابه "القصارى في نكبات النصارى" من ٣٤ - ٤٤ أن كنيسة هرمزد الشهيد في ماردين قيمة، بُنيت سنة ٤٣٠ وبقيت في حوزة للسلطنة منذ عهد الانفصال حتى سنة ١٥٥٧.

٣ - القوش: بلدة في العراق، مركز قضاء القوش، محافظة نينوى.

٤ - للخميين أو المناذرة: من قبائل العرب، أصلها من اليمن، أخذت جذام وعاملة، رحل بعضهم إلى شمالي جزيرة العرب وسورية وفلسطين والعراق، أسسوا الدولة الخميّة في الحيرة التي عثقت في حروب متواصلة مع الضالمة الذين اعتنقوا العقيدة المونوفيزية، اعتنق للخميون المسيحية السريانية الشرقية وتحالفوا مع البلاط الفارسي وعملوا على صيانة الحدود، تلاثت دولتهم بعد وفاة النعمان الثالث ٦٠٢، فتقلوا إلى الإسلام بعد الفتح العربي، اشتركوا في اليرموك وصفين وحملة يزيد بن معاوية على الحجاز، منهم فروع في لبنان وجبل الدروز على مذهب التوحيد الدرزي.

بهذه الأديرة التي اندثرت آثارها اليوم. أما الجبال فكانت الموضع المفضل للحياة الرهبانية، فكثر فيها الأديرة والصوامع والمناسك<sup>١</sup>. وكان كل دير يحتوي على مكتبة عامرة بالمخطوطات. ويعكف الرهبان على استنساخ مخطوطات كثيرة. إلا أن الاضطرابات والحروب التي دارت رحاها في البلاد على تعاقب الأزمان دمّرت الأديرة ومعظم مكتباتها. وقد وصل قسم من هذه المخطوطات إلى مكتبات أوروبا الشهيرة: لندن وباريس وبرلين والفاتيكان، وغيرها<sup>٢</sup>.

---

١ - ليونا، مرجع سابق، ص ٢١٥ - ٢١٦، مراجعته: المرجعي توما، كتاب الرؤساء، ترجمة الأب ألبير ليونا (الموصل، ١٩٦٦)؛ البصري أيشر عنان، الديورة في مملكتي الفرس والعرب (المعروف بكتاب الحقة خطأ) ترجمة لقن (البطريك) بولس شيوخو (الموصل، ١٩٣٩)؛ الشابشتي، كتاب الديارات، تحقيق كوركيس عواد، ط ٢ (بغداد، ١٩٦٦)؛ غنيمه يوسف رزق الله، الحيرة (بغداد، ١٩٣٦)؛ الحمري زين فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أحمد زكي باشا (القاهرة، ١٩٢٤)؛ ياقوت، معجم البلدان.

٢ - ليونا، مرجع سابق، ص ٢١٦.

## فِي ظِلِّ بَدَايَةِ الْإِسْلَامِ

في بداية الفتح الإسلامي، كان النساطرة، هم الآخرون، من الجماعات المسيحية التي، منذ مجمع أفسس سنة ٤٣١ الذي نبذ تعاليم نسطوريس بطريرك القسطنطينية، كانت تكن شعورًا بالعداء القوي إزاء بيزنطية. وكان الإطار القومي يسبب بعض الصعوبات لحرية الكنائس الشرقية التي انفصلت عن الأرثوذكسية<sup>١</sup>، لذلك كانوا كما المونوفيزيون، قد استقبلوا العرب المنتصرين استقبال الأصدقاء. وقد أورد بحثة معاصر ينتمي إلى الكنيسة السريانية الشرقية حول هذه المسألة ما نصّه:

... بعد أن استقرت الأمور للإسلام في الجزيرة العربية، سعى خلفاء محمد في نشر ديانتهم الجديدة وفرض سيطرتهم على البلدان المجاورة أولاً، ثم على البلدان البعيدة. وكانت معركة اليرموك الشهيرة سنة ٦٣٦ التي فتحت أمام المسلمين أبواب الأمبراطورية البيزنطية، ثم جاءت معركة القادسية سنة ٦٣٧ التي انتصر فيها العرب المسلمون على الفرس، وانفتحت أمامهم أبواب الشرق. وقد رحّب المسيحيون في البلاد الفارسية بالفاتحين الجدد، وذلك لأسباب عديدة، منها لأنهم كانوا يعانون من كلّ العهود الفارسية تقريباً من الظلم والتعسف، ثم لأن لغتهم الآرامية قريبة من اللغة العربية، فكلتاهما من دوحه آرامية واحدة. والسبب الثالث هو أن الإسلام ينادي بدين شبيه بالدين المسيحي إلى حدّ ما. وكان للإنسانية التي اتّسم بها الإسلام الأوّل تأثير عميق في نفوس الذين دخلوا تحت سلطة المسلمين من رعايا الروم والفرس. وكانت القبائل العربية المسيحية من المناذرة والغساسنة أشدّ الناس تحمّساً للفاتحين وتضامناً معهم في فتوحاتهم الأولى. وكان المسلمون عندما

---

١ - كُمبي الأب جان، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، ط٢، دار المشرق (بيروت، ٢٠٠٢) ص ٣٥٢.

يفتحون بلدًا، يخيرون سكّانه بين اعتناق الإسلام والاحتفاظ بدينهم الخاص. فإذا أسلموا، كانوا هم وسائر المسلمين سواء، وإلاّ وجب عليهم دفع الجزية، فيُصبَحون "في ذمّة" المسلمين يحمونهم ويدافعون عنهم. وإن لم يقبلوا كلا الأمرين، فيُحاربُون ويقتلُون<sup>١</sup>. أمّا كنيسة المشرق، فقد واصلت مسيرتها بأمان في بدء الإسلام، دون أن تتعرّض لصعوبات كبيرة. وكانت في هذه الفترة تعاني من مشكلة داخلية سببها "سهودنا"<sup>٢</sup> بتعاليمه المخالفة للتعاليم التيودورية السائدة في كنيسة المشرق. وحلّت المشكلة بإقصاء سهودنا عن كرسيه الأسقفيّ في "ماحوزا داريون" ونبذ تعاليمه. وحينما تولّى "إيشوعيا ب الثالث الحديابي" (٦٤٩ - ٦٥٩) الرئاسة على كنيسة المشرق، لاحظ بكثير من الأسى ما كان الإسلام يحدثه من التأثير في رعاياه المسيحيّين، خاصّة في البلدان الواقعة على السواحل الغربيّة من الخليج العربيّ، مثل البحرين وقطر وعمّان، وحاول البطريرك العظيم أن يحفظ المسيحيّين ثابتين في إيمانهم، ولكن دون جدوى. وإذا لم يُفلح البطريرك مع المسيحيّين الخليجيّين الذين اجتازت أعداد كبيرة منهم إلى الإسلام، طمعا في الحفاظ على ثرواتهم، فقد أفلح في المناطق الأخرى، لا سيّما في الجزء الشماليّ من ما بين النهرين. وقد اضطرّ البطريرك في نهاية حياته إلى اللجوء إلى دير "بيت عايي" هربًا من اضطهاد حاكم المدائن. إلّا أنّ الخدمة الجليّة التي قدّمها هذا البطريرك لكنيسة المشرق، بالإضافة إلى إدارته الحكيمة وطول باعه في الآداب السريانيّة، كانت اهتمامه الكبير بالشؤون الطقسيّة وتنظيمها وإيلائها صيغة شبه نهائيّة ما زالت جارية في كنيسة المشرق في خطوطها العريضة<sup>٣</sup>.

١ - لبونا، مرجع سابق، ص ٢١٧، وجاء هنا في الحاشية: طالع ما قبل في هذا الشأن: تاريخ ميخائيل السرياني، طبعة شابر، ٤ ج، النص السريانيّ والترجمة الفرنسيّة (باريس، ١٨٩٩ - ١٩١٠) ط٢، ص ٤١٢ - ٤١٣؛ يوحنا بر فتكاي، في مكنّا، المصادر السريانيّة ١، (الموصل، ١٩٠٧) للنص السريانيّ ص ١٤٦، والترجمة الفرنسيّة ص ١٧٥، وغيرهما.

٢ - سهودنا: من مشاهير كتبة النسطورية في القرن السابع، تلمّ في نصيبين، أرسله سيرويه ملك العجم مع إيشوعيا ب الجبليّ مغيرًا إلى هراقل ٦٣٠، له تكيّف دينيّة.

٣ - لبونا، مرجع سابق، ص ٢١٧ - ٢١٨.

في نهاية العهد الأمويّ كانت الكنيسة السريانيّة الشرقيّة لا تزال ناشطة في التبشير حتّى وصلت إرساليتها إلى الصين سنة ٦٣٥ وإلى التبت. وهكذا نشرت بذور ثقافتها من قبرص إلى منجوري وإلى جزر جافا وسومطرا. إلّا أنّ الاضطهادات القاسية التي تعرّضت لها المسيحيّة في الصين قد أخمدت جذوة الرسالة المسيحيّة هناك ولم تستعد حيويّتها من جديد إلّا في القرن الحادي عشر. وفي سنة ١٢٧٥ أسّس في العاصمة بيكين مركز الرئاسة الأسقفية. لكنّ المسيحيّة لم يُكتب لها تاريخ طويل في القسم الشرقيّ من آسيا، فقد قضى المغول عليها، كما قضوا على معالم الحضارة والتاريخ في كلّ بلد اجتأهوه، إلى أن وصلوا إلى بغداد منتصف القرن الثالث عشر فقضوا على أروع حضارة وأغزر تراث تركه العرب بعد اندماجهم بالفكر الفلسفيّ اليونانيّ عن طريق المترجمين والشرّاح السريان<sup>١</sup>.

وقد ذكر مؤرّخو السريان الغربيّين أنّ أبرشيّات الكنيسة النسطورية كانت تمتدّ من الصين حتّى الهند وماداي وآثور وبابل والعراق وما بين النهرين وإلى سورية وفلسطين وقبرص ومصر وإلى أرمينيا والكرج وبلاد العرب. وأنّ عدد تلك الأبرشيّات النسطورية قد بلغ في القرون الوسطى زهاء مائة أبرشيّة خاضعة كلّها لجاثليق<sup>٢</sup> المدائن وبغداد<sup>٣</sup>.

---

١ - الجليل المطران ميخائيل، كنيسة السريان الكاثوليك، مرجع سابق، ص ١٢٨ - ١٢٩.

٢ - جاثليق وجثليق: رتبة كنسيّة عالية في الكنيسة الأرمنيّة والكنيسة السريانيّة القديمة لعلّها بمثابة رتبة البطريرك عند سائر الكنائس الشرقية، ترجمتها "رئيس علم".

٣ - طرّازي، لصق ما كان، ١: ٧١، عن: لدي شير المطران الكلداني، تاريخ كلدو آثور، المقدمة.

وإذا كانت الكنيسة السريانية الشرقية قد استمرت بنشاطها التبشيري في مناطق الشرق الأقصى وإن في ظلّ الإسلام، فإنّها في المقابل قد أدّت للمسلمين خدمات جلى في أعمال التآليف والترجمة والطبّ والعلوم، خاصة في عهد الخلافة العباسية، واشتهر من رعاياها نخبة من الأطباء والعلماء والمترجمين. وقد لمع في هذه الحقبة اسم البطريرك طيموتاوس الأول الملقّب بالكبير (بطريرك ٧٨٠ - ٨٢٣)<sup>١</sup>، وهو الذي نقل الكرسيّ البطريركيّ لهذه الطائفة إلى بغداد<sup>٢</sup>. ويذكر بعض العاملين على إيراز تراث الكنيسة السريانية الشرقية أنّ طيموتاوس، كان إدارياً محنّكاً وعالمًا نحرياً وسياسياً مرناً، عرف أن يبلغ بكنيستهِ إلى أوج مجدها وازدهارها، وأن ينود عنها في الفترات الصعبة التي حاول فيها بعضهم أن يثيروا عليها عواصف المحن والاضطهادات. وبالإضافة إلى تضلّعه من مختلف العلوم والترجمات التي قام بها والقوانين التي وضعها، أدرك البطريرك طيموتاوس أنّ أهمّ عنصر للاستقرار في كنيسة المشرق ولازدهارها يكمن في حسن اختيار رؤسائها وثقافة كهنتها وقداستهم. وكانت رغبة التفاهم مع الحكم العباسيّ في نظر طيموتاوس ضرورة حيويّة للكنيسة. ولكي يكون المسيحيّون حقاً في صميم معترك الحياة السياسيّة والثقافيّة، قرّر، منذ مطلع عهده، أن ينقل مقرّ البطريركيّة من المدائن إلى بغداد العاصمة الجديدة. فقد أدرك أنّ للكنيسة دوراً هاماً تجاه المجتمع، وأن خير وسيلة لتجنّب الظنون والشكوك تجاهها هي أن

١ - طيموتاوس الكبير (٧٧٨ - ٨٢٣): بطريرك سريانيّ شرقيّ، وُلد في حرّزة (إربيل)، تعلّم على إبراهيم برشدند في مدرسة باشوش في منطقة العفرّة، أقيم أسقفاً لبيت غش خلفاً لعمّه كيوركيس، انتُخب بطريركاً للكنيسة المشرقيّة مطلع ٧٨٠، دامت رئاسته أكثر من أربعين سنة في عهد خمسة خلفاء عباسيّين متعاقبين ترتبطت علاقته معهم بالموتة والدقّة خاصّة مع المهدي وهارون الرشيد.

٢ - بدلويد البطريرك روفائيل، الكنيسة الكلدانية، مجلّة المنارة، العددان الأوّل والثاني، (١٩٨٦) ص ١٧٩-١٨٠.



تكون في صميم حياة المجامع، وأن تتعاون في بناء البلاد، بواسطة أطبائها وكتّابها وعلمائها ومترجميها. ولم يشأ طيموثاوس أن تعيش كنيسة في الخفاء وعلى هامش الحياة العامة وترفض كل تعاون مع الحكم القائم. ومهما قيل عنه، فإنه كان رجل المبادئ، متدينًا أصيلاً، ودبلوماسيًا لبقًا. كان رجل علم وفي الوقت نفسه رئيسًا يعيش في صميم الواقع. وعرف كيف يقرن الصرامة بالتواضع والسلطة بالخدمة، مع الكثير من الفطنة والمرونة والانفتاح. لذا فقد كان عهده عهد يُمن وبركة لكنيسة المشرق التي تذكره بإجلال وتطلق عليه لقب "الكبير". وفي عهده حظيت الكنيسة باحترام جميع الفئات في البلاد، وأسهم علماءها في إعلاء شأن الثقافة فيها. أما أطباؤها، فقد نالوا حظوة كبيرة في البلاط العباسي، وتمكنوا من القيام بدور بناء في الكنيسة. وقد امتاز بين هؤلاء الأطباء آل بختيشوع الذين تعاقبوا في خدمة الخلفاء، بالتعاون مع غيرهم من الأطباء. وهذا كله أولى كنيسة المشرق وجهًا مشرقًا وجعلها رائدة العلوم والثقافة في البلاد مدة قرون طويلة<sup>١</sup>.

من أبرز الذين اشتهروا في أعمال الترجمة إلى العربية من المسيحيين السريان الشرقيين في العهد العباسي، يوحنا بن ماسويه، الذي ينكره العرب باسم يحيى، وقد ترجم عدة كتب بناء على طلب هارون الرشيد الذي كان قد غنمها بخلال غاراته على آسية الصغرى. وكان معظم تلك المؤلفات في الطب، وكان يوحنا طبيب البلاط العباسي من أيام الرشيد حتى أيام المتوكل<sup>٢</sup>. وهناك يوحنا آخر برع في مجال الترجمة من اليونانية إلى العربية هو يوحنا بن البطريق المعروف بيوحنا الترجمان، وهو عالم

---

١ - أبونا، مرجع سابق، ص ٢١٧ - ٢١٨.

٢ - راجع: قطي، ص ٤٣٨؛ ابن العربي، ص ٢٢٧.

مسيحيّ وُلد نحو ٨١٥، انصرف إلى ترجمة المؤلفات اليونانية إلى العربية، وأهم ما نقله إلى العربية: "كتاب السياسة في تدابير الرئاسة"، و"المقولات العشر" لأرسطو، وكتاب "الأربعة" لبطليمس، وكتاب "طيماؤس" لأفلاطون.

ومن عظماء أبناء الكنيسة السريانية الشرقية الذين برزت أعمالهم الفكرية في ذلك العصر، حنين ابن إسحق، الطبيب والشمّاس، وهو من قبيلة عباد العربية، وُلد في الحيرة العراقية، ودرس الطب في بغداد، وتصلّح من العربية. وقد عيّنه الخليفة المأمون على "بيت الحكمة" وهي المؤسسة التي أنشأها ذلك الخليفة وأقام فيها مكتبة ومتحفًا ومعهدًا للترجمة، وما لبث حنين أن انصرف إلى الترجمة، فنقل إلى السريانية والعربية بعض كتب أفلاطون وأرسطو وديوسقوريدس وجالينس، كما ألف كتابي "عشر مقالات في العين" و"المدخل في الطب". ويبدو أن إسحق بن حنين، كان يساعد أباه في أعمال الترجمة، وكذلك حبيش، ابن شقيقة حنين. فكان يترجم من اليونانية إلى السريانية ويقوم إسحق وحبيش بالترجمة من السريانية إلى العربية<sup>١</sup>. وقد اشتهر حنين، إضافة إلى علمه ومعرفته وخدماته الجلّى التي أداها للعلم والمعرفة، بنبله ورفعة أخلاقه، حتّى أنّه فضّل السجن على تلبية طلب المتوكّل الذي أراده أن يركّب سمًا قاتلاً ليقتل به أحد أعدائه. أمّا ولده إسحق الذي توفّي في بغداد سنة ٩١١، فقد نقل إلى العربية، إضافة إلى معاونته لأبيه، "أصول الهندسة" لإقليدس، و"المجسطي" لبطليمس، و"الكرة والاسطوانة" لأرخميدس، و"سوفسطس" لأفلاطون، و"المقولات" لأرسطو. وعُرف إسحق بأنّه طبيب وفيلسوف وبأنّه كان نسطوريًا.

---

١ - راجع: ابن خلكان، وفیات الأعيان، (القاهرة، ١٢٩٩ هـ) ١: ١١٦؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأعيان في طبقات الأطباء (القاهرة، ١٨٨٢) ١: ١٨٧ و ٢٠٣؛ الفهرست، ص ٢٩٧.

ومن مشاهير العلماء السريان في تلك الحقبة، عبد المسيح الكندي، وهو الكاتب النسطوري الذي عاش في القرن التاسع، وله رسالة طويلة إلى عبدالله الهاشمي يدعو به إلى المسيحية، وهي أقدم نص معروف بهذا المعنى.

ويبقى اسم أبي بشر متى بن يونس المنطقي، ساطعاً فوق أعلام الفلسفة السريانية والعربية، فإن هذا الفيلسوف والطبيب النسطوري المولود في بغداد والمتوفي فيها سنة ٩٤٠، قد علم مفخرة العرب: الفارابي، الفلسفة. ولقد قيل في أبي بشر: "إليه انتهت رئاسة أهل المنطق في أيامه". وهو أول من نقل عن اليونانية "بويتكا" أو "كتاب الشعر" لأرسطو، وعن السريانية كتاب "البرهان" لإسحق بن حنين. وهو من شرح كتاب "إيساغوجي" لبورفير يوس.

ويبدو من خلال الأبحاث الحديثة أن كنيسة المشرق لم تكتف في تلك الحقبة من التاريخ بإيلاء الأمور الظاهرية والعلاقات الخارجية اهتمامها، بل ظهر فيها أشخاص حاولوا استجلاء طابعها العميق وتسليط الأضواء على روحانياتها الأصيلة. ومن المتصوفين اللاهوتيين الذين برزوا في القرن الثامن، كان "يوسف حزايا" الذي كتب في مختلف نواحي الحياة الروحية، ولا سيما في التأمل أو المشاهدة (تيوريا)، و"يوحنا الدلياني" الذي يُعتبر إمام المتصوفين في كنيسة المشرق في القرن الثامن<sup>١</sup>. إلا أن رؤساء الكنيسة لم يقيموا وزناً في ذلك التاريخ لما في تلك الكتابات من غنى روحي لحياة المؤمنين<sup>٢</sup>.

---

١ - راجع: دكتش الأب سليم اليسوعي، مجموعة رسائل يوحنا الدلياني، سلسلة التراث الروحي، دار المشرق (بيروت، ١٩٨٦)

٢ - راجع: ليونا، مرجع سابق، ص ٢٢٠.

ويروي باحث من علماء الكنيسة الكلدانية المعاصرة أن كنيسة المشرق قد اشتهرت في تلك الحقبة بمدارسها العديدة المنتشرة في طول بلاد ما بين النهرين وعرضها. ونقل عن مؤرخ معاصر لتلك الحقبة قوله إنه كان لنصارى في ما بين النهرين نحو خمسين مدرسة درّسوا فيها العلوم الآرامية واليونانية. وقد ألحقوا بهذه المدارس مكتبات. وكان في أديا، شيء كثير من الأسفار ومن الكتب المترجمة إلى الآداب النصرانية من مؤلفات أرسطو وجالينس وسقراط. لأنهم كانوا محور الدائرة العلمية في ذلك العصر، ونقلت الثقافة اليونانية إلى الإمبراطورية الفارسية، ثم إلى الخلافة العباسية<sup>١</sup>. وجاء في بعض الأبحاث أن باباي الجبيلتي الملقب أسس نحو ستين مدرسة في منطقتي أربيل ومرج الموصل في القرن السابع، وزودها بجميع المستلزمات وبالأساتذة<sup>٢</sup>.

وكان مار آبا الكبير (٥٤٠ - ٥٥٢) قد أسس مدرسة المدائن في النصف الأول من القرن السادس، واستمرت زمناً إلى أن أصابها الذبول لدى انتقال الكرسي البطريركي إلى بغداد في نحو سنة ٧٨٠. واشتهرت في عهد الخلفاء العباسيين الأوائل مدرسة جنديسابور التي كانت قد أسست منذ زمن بعيد وتعاقب على إدارتها آل يختيشوع الذين زوّدوا الدولة العباسية بخيرة أطبائها. وكذلك مدرسة "نير قتي" التي تُنسب إلى مار ماري الذي بشر المنطقة في نهاية القرن الأول، ومن الذين اشتهروا بين تلامذتها ومدرسيها أبو بشر متى بن يونس (ت ٩٤٠) العالم المنطقي الذائع الصيت الذي، كما ذكرنا في مكان آخر، قرأ عليه الفيلسوف الكبير الفارابي. ومن المدارس السريانية

---

١ - ليونا، مرجع سابق، ص ٢٢٢.

٢ - المرجعي توما، كُتُب الرُؤساء، ترجمة الأب لبيير ليونا (الموصل، ١٩٦٦)، ص ١٢٦ - ١٢٨.

المشرقية التي اشتهرت أيضاً في الحقبة العباسية مدرسة "إيثالاها" بالقرب من دهوك، ومدرسة الدير الأعلى في الموصل وقد أطلق عليها لقب "أم الفضائل"<sup>١</sup>.

## الإنكسارات الخطيرة

بعدما نمت الكنيسة السريانية الشرقية في ظل حكم أوائل الخلفاء العباسيين نمواً سريعاً، وتكاثرت أبرشياتها وعمرت ديورتها وامتدت كنيستها امتداداً واسعاً، فبلغت في أراضي الصين نفسها<sup>٢</sup>، فإنها في ظل السياسة الرجعية التي ظهرت في البلاد جراء ترمّت الخلفاء العباسيين الذين خلفوا المأمون (٨١٣ - ٨٣٣)، والنكسة الخطيرة التي أصيبت بها الثقافة، عانت الكنيسة السريانية الشرقية، كما سواها، مما تعرض له العلماء من إهمال ومضايقات. فشرع نفوذ الأطباء والعلماء المسيحيين يتضاءل مع تراجع الاهتمام بالعلوم. في الوقت نفسه، لم يظهر في الكنيسة السريانية الشرقية قادة من الطراز الأول. ذلك أن كلاً من رؤساء هذه الكنيسة قد قضى مدة وجيزة في الرئاسة، دون أن يتميز أحد منهم بمؤهلات المقدرة، ربما بسبب تقدمهم في السن ووضاعة ثقافتهم. فراحت هذه الكنيسة تمرّ في حال تفقر وسط تعرض أهل النمة في البلاد لمساوئ كثيرة من قِبل الحكّام المستبّتين الذين تصرفوا على أهوائهم، ما أدى إلى تحكّم الغرباء بمصائر الخلفاء، وبالتالي إلى السيطرة على الخلافة في مختلف أرجاء الدولة المترامية الأطراف، وإلى نشوء دول

---

١ - راجع: ليونا، مرجع سابق، ص ٢٢٣.

٢ - يقيم ويوك، تاريخ للكنيسة الشرقية، ص ٣٥٧.

عديدة وإمارات مستقلة في قلب الخلافة العباسية وعلى أطراف حدودها، وصولاً إلى سقوط الدولة العباسية تماماً.

رافق ذلك اجتياح المغول بدءاً بهولاكو سنة ١٢٥٨ حفيد جنكيزخان (١١٥٥ - ١٢٢٧). وما إن استولى هولاكو على بغداد حتى أعمل فيها الدمار والخراب والهلاك، وقضى على الخليفة العباسي المستعصم وأعوانه لرفضه الاستسلام.

وينكر مؤرخون كلاسيكيون أن النساطرة لم يتأثروا كثيراً في بداية الزحف المغولي على بلاد آسيا في العام ١٢٥٨، بل ظلت كنيساتهم تتم بالحرية الدينية، حيث أن الكثيرين من المغول كانوا قد اعتنقوا المسيحية النسطورية منذ الجيل السابع، حتى إن أحد هؤلاء المغول: "يولاها"<sup>١</sup>، قد تبوأ السدة البطريركية (١٢٨٣ - ١٣١٧)<sup>٢</sup>، ونقل مقره إلى ماراغا في بلاد المغول. وشهد الرحالة الكبير البندقي ماركو بولو انتشار هذه الكنيسة، وذكر أنه التقى البطريرك النسطوري المغولي "يولاها"<sup>١</sup> الثالث في بلاط الأمير المغولي إيلخان، وتحقق من عمل كنيسته التبشيرية وتنظيمها وانتشارها في شتى البلدان.

بيد أن بحثة سريانياً شرقياً محدثاً مدققاً يصف حقيقة ما تعرض له المسيحيون السريان الشرقيون (النساطرة) عند اجتياح المغول لبغداد سنة ١٢٨٥ فيقول:

بعد المجزرة الرهيبة التي قضت على أعداد غفيرة من سكان العاصمة، اهتم هولاكو بإعادة تنظيم الإدارة في بغداد، ووضع على رأسها بعض المسؤولين في العهد السابق، لا سيما الذين تعاونوا معه سرّاً، ريثما تتكوّن له مجموعة من

---

١ - في الواقع لم يكن اسم هذا البطريرك "يولاها" بل "يهيالاها" كما سيأتي لاحقاً.

٢ - الأصح (١٢٨١ - ١٣١٧) كما سيأتي لاحقاً.

الإداريين المغول. في هذه الأثناء، جمع الجتليق\* مكixa الثاني بطريق السريان الشرقيين (١٢٥٧ - ١٢٥٦) أبناء رعيته في كنيسة "سوق الثلاثاء"، في الجانب الشرقي من بغداد، وأبقاهم هناك طوال مدة القوضى، بحيث لم يصب أحد منهم بأذى. وقد وضع كثير من المسلمين أموالهم لدى الجتليق، أملين في استعادتها في حال نجاتهم من القتل. لكنّ المسيحيين، بالرغم من حماية زوجة هولاكو المسيحية النسطورية "رقوز خاتون" لهم، لم يكونوا في وضع مستقرّ، بل غالبًا ما شاطروا المسلمين مصيرهم وتعرّضوا للقتل والسلب والنهب. وسرعان ما تبخّرت الآمال التي راودتهم حينًا في العيش باطمئنان في ظلّ الفاتحين الجدد، ذلك أنّ المغول قد عاملوهم في البداية معاملة حسنة، حتّى أنّ هولاكو قد وهب للجتليق "مكixa" دار الخليفة المعروفة بـ"دار الدويدار" الواقعة على دجلة، فسكن فيها وأقام بداخلها كنيسة وهناك توفّي ودُفن<sup>١</sup>.

على أنّ المغول ما لبثوا أن عاملوا المسيحيين على مختلف مللهم بهمجيّتهم المعروفة، كما يُجمع المؤرّخون. وقد أرّخ باحثون كنسيون سريان شرقيون محدثون هذه الحقبة على الشكل التالي:

لقد استعاد السلاطين المغول العادة التي كانت جارية لدى الساسانيين، ثمّ لدى المسلمين، في تلييدهم ودعم انتخاب الرؤساء في كنيسة الشرق. وهكذا، بعد موت الجتليق "مكixa" الثاني سنة ١٢٦٥، خلفه الجتليق "دندا" (١٢٦٦ - ١٢٨١)، وأيد "أباقاخان" هذا الانتخاب وشرّف الجتليق الجديد بالخلعة السنية والفرمان وغيرها من آيات السلطة والكرامة. لكنّ المسيحيين تعرّضوا في أماكن شتّى لمضايقات كثيرة، من جرّاء الفوضى السائدة في البلاد، بالرغم من الحماية التي كانوا يحظون بها من

١ - ليونا، مرجع سابق، ص ٢٢٢، عن: صليبيا، للمجلد، (روما، ١٨٩٦) ص ١٢٠ - ١٢١.

شخصيات مسيحية تمكنت من الوصول إلى مناصب مرموقة في البلاد. ونرى أن الملكة "قوتاي خاتون" نفسها تتدخل لحمل المسيحيين على الاحتفال ببعض أعيادهم علناً. و"أبقاخان" يذهب إلى همدان سنة ١٢٨٢ ويشترك مع المسيحيين في عيد القيامة في كنيستهم. وفي تلك الغضون، كان راهبان مسيحيان من أنحاء بكين، أحدهما يُدعى صوما والآخر مرقس، قد وطّدا العزم على زيارة الأماكن المقدسة، ولم تحل الصعوبات والاضطرابات دون تحقيق عزمهما، فشدا الرحال نحو المناطق الغربية، ولكنهما لم يستطيعا الوصول إلى الأماكن المقدسة بسبب الاضطرابات والحروب الدائرة في المنطقة، فعادا إلى الجنليق الذي كانا قد التقياه سابقاً في مراغة، فرسم مرقس "مطرافوليطاً" لأبرشية "خطاي" الصينية، وسمّاه "يهبالاها"، وأقام صوما زائراً عاماً للمناطق الصينية. ولكن طرق العودة إلى بلادهما أيضاً قد انقطعت، فاضطرّ يهبالاها وصوما إلى المكوث في دير مار ميخائيل "ترعيل" بالقرب من أربيل طوال سنتين<sup>٢</sup>. وفي سنة ١٢٨١، توفي البطريك دنحأ، فاجتمع المطارنة وقرّ رأيهم على انتخاب يهبالاها المغولي خلفاً له، وذلك إرضاء لأسياة البلاد، ولكون المنتخب على معرفة بلغة المغول وعوائدهم، بالرغم من قلّة اطلاعه على التعاليم الكنسية وجهله اللغة السريانية وعدم كفاءته في الشؤون الإدارية. فقبل يهبالاها هذه المهمة على مضض. وكانت سنواته الأولى صعبة، لا سيّما أنّ السلطات انتقلت إلى "تكودار" الذي اعتنق الإسلام وأساء إلى المسيحيين. ولمّا اغتيل سنة ١٢٨٤، خلفه "أرغون"

١ - هنا يورد الباحث الحاشية التالية: راجع لين العبري، تاريخ الزمان، الترجمة العربية بسحق لرملة، دار المشرق (بيروت، ١٩٩١) ص ٣٢٨.

٢ - هنا يورد الباحث الحاشية التالية: طالع: قصّة مار يهبالاها ولريّان صوما، وقد نشر الأب بيجان نصّتها السرياني في باريس ١٨٩٥.



الذي لم يسر على سياسته، بل كان متسامحاً مع الديانات الأخرى ومنفتحاً على الغرب. وكان أرغون خان يمني النفس بالاستيلاء على سورية وفلسطين، وكان يفتقر إلى مساندة الدول الغربية، فأرسل للربان صوما إلى رومة وإلى الملوك الغربيين، وزوّده بالرسائل وبالهدايا المناسبة، كما أنّ الجليليقي يهبالاها أعطاه رسائل وهدايا إلى البابا. فذهب الربان صوما إلى فرنسا وإنكلترا حيث التقى ملكيهما. ودارت في رومة نقاشات حول القضايا الإيمانية، وكانت أجوبة السفير مرضية، واشترك معهم في الأسرار، وسرّ به الجميع. ولدى عودته، زوّده البابا بنخائر متنوعة وأرسل معه تاجه الخاص إلى مار يهبالاها مع حلل فاخرة، ومرسوماً يخول البطريرك السلطة على المشرق كلّهُ، كما أرسل بركاته إلى الملك أرغون. وعاد الربان صوما إلى المشرق وقابل الملك أرغون وأطلعه على نتائج رحلته. ففرح الملك وأراد أن يبقيه عنده في خدمة كنيسة المتّقلة، ولكنه رفض، وفضل أن يقوم الجليليقي نفسه بهذه المهمة. وكان مار يهبالاها الثالث متّسماً بروح مسكونيّة. وقد برهن عن ذلك من خلال علاقته بالمونوفيزيين الساكنين في بلاد المشرق، لا سيّما بابلون العبري، وبالمرسلين الغربيين الذين شرعوا يتوافدون على المنطقة. فأفسح أمامهم المجال لممارسة رسالتهم بين مؤمني كنيسة المشرق. أمّا علاقته برومة فكانت علاقات تتّسم بالاحترام والاعتراف الضمني برئاسة البابا. وقد أعرب عن ذلك في الرسائل التي وجهها إلى رومة في السنوات اللاحقة. وتوفي الملك أرغون سنة ١٢٩١، وخيم الحزن على المسيحيين بموته. وإذا استمرّ خليفته "كيخاتو" و"بايدو" على خطّه المسالمة، فإنّ "غازان" الذي جاء إلى الحكم سنة ١٢٩٥، تبنّى خطّة مغايرة. فقد تبنّى المغول الإسلام، وشرعت المصائب تنهال على البطريرك والمسيحيين. فتعرّض يهبالاها للإهانات، ولم ينجُ من الموت إلاّ بأعجوبة، وساعده الملك "هيثم" الأرمني على الفرار من مراغة متكرّراً. وما إن عاد الاستقرار

وتمكن البطريرك من العودة إلى كرسيه في "مراغة"، حتى ثارت فتن أخرى نغصت حياته ... وكانت محنة كبيرة تنتظره في أربيل سنة ١٣١٠، حيث قامت فئة من الغوغائيين بإثارة مشاعر السكّان المسلمين على المغول وعلى المسيحيين، وحدثت مجزرة رهيبة راح ضحيتها المئات من المسيحيين، وكاد البطريرك نفسه أن يلقى فيها حتفه. وانتهت المأساة باحتلال المسلمين لقلعة أربيل ويقتل المسيحيين فيها ونهب كل شيء والقضاء على الوجود المسيحي هناك. وحاول البطريرك المسكين إطلاع رؤساء المغول على تلك الكارثة، ولكنه لم يلقَ منهم آذاناً صاغية. فعاد إلى مقره في مراغة وهو يقول: "لقد سئمت من خدمة المغول". ومكث هناك إلى أن وافاه الأجل سنة ١٣١٧. وتعاقب البطارقة على كرسي كنيسة المشرق بالرغم من اضطراب الأحوال في نهاية العهد المغولي. فجعل طيموتاوس الثاني (١٣١٨ - ١٣٣٢) مقره بالقرب من أربيل، وحاول أن يجمع شمل مؤمنيه وأن ينفحهم بروح الإيمان والتقى. ثم خلفه البطريرك نحا الثاني (١٣٢٢ - ١٣٦٥) الذي نقل كرسيه إلى قرية "كرمليس" في منطقة الموصل حيث احتوى بسلطة بعض الأمراء المسيحيين. أما حكم المغول فقد أصابه الانحلال والانحطاط إلى أن انهيار تحت ضغط الفئات الطامعة في البلاد... وحاولت كنيسة المشرق الابقاء على مستواها الثقافي، رغم تلك الظروف الحرجة. وكان آخر من حمل مشعل العلم والآداب السريانية الأصيلة هو "عبد يشوع الصوباوي" (ت ١٣١٨) الذي يُعتبر خاتمة عهد الآداب السريانية الزاهر. كما أن إين العبري (ت ١٢٨٦) كان خاتمة العلوم والآداب في الكنيسة السريانية الغربية الشقيقة<sup>١</sup>.

١ - لبونا، مرجع سابق، ص ٢٢٢ - ٢٢٤.

ويختصر باحثون في شؤون الكنائس الشرقية ما شهدته الكنيسة الميريانية الشرقية في حقبة المغول بالقول إنه لما استولى المغول على بغداد بزعامة هولاكو (١٢٥٨ - ١٢٦٥)، لم يتعكّر صفاء عيش النساطرة، بل نعموا بالحرية الدينية وطمأنينة الضمير. ولم يتسرب الفتور إلى قلب الكنيسة النسطورية إلا في عهد تيمورلنك (١٣٣٦ - ١٤٠٥)، فتقلص ظلّها وقلّ عدد أبنائها، وتفرّقوا في العراق وبلاد العجم<sup>١</sup>.

---

١ - يقيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ٣٥٧.

# إِمْتِنَاعُ الْكَنِيسَةِ السَّرِّيَّاتِ الشَّرْقِيَّةِ

## فِي بِلَادِ أَشُورَ

تدل الدراسات على أن الكنيسة السريانية الشرقية، في مُنصرَم القرن الثالث عشر، كانت تعدّ أكثر من ٢٣٠ أبرشية موزّعة على ٢٧ رئاسة أسقفية Métropole، منتشرة فوق آسيا الوسطى والمناطق المجاورة<sup>١</sup>، وقد بلغ عدد التابعين لهذه الكنيسة قرابة ثمانين مليون نسمة<sup>٢</sup>.

بعد غزو الترك لآسيا الوسطى، حدثت انقلابات عرقية مختلفة رجحت في خلالها كفة العناصر التركية على سواها في مناطق ما وراء النهر. وعندما جاء تيمورلنك (١٣٣٦ - ١٤٠٥) وقضى على الكنيسة المشرقية النسطورية في المناطق الشرقية، تقلّص ظلّها وقلّ عدد أبنائها الذين أسلم منهم من أسلم وفرّ الباقون إلى مناطق مختلفة.

ففي قبرص انضمّ النساطرة إلى الوحدة مع روما. وفي الشرق الأوسط أخذ المرسلون الفرنسيّون والدومينيكان يعيدون الكثير من أبناء كنيسة المشرق إلى الوحدة مع روما، وقد واصلوا مهمّتهم هذه ومتّوها إلى الشرق الأقصى. وفي الهند انضمّ قسم من مسيحيّ مار توما إلى المونوفيزيّة وغيرهم إلى

---

JANIN, *LES ÉGLISES D'ORIENT*, P. 163. - ١

٢ - بدلويد البطريرك روفائيل، الكنيسة الكلدانية، مجلة فملارة، الحدفن الأول والثقي (١٩٨٦) ص ١٨١.

اللاتينية<sup>١</sup>. ولم يبقَ من النساطرة في العراق إلا قسم ضئيل لجأ إلى الجبال التي حملت اسم كردستان وبلاد العجم<sup>٢</sup>، حيث انكمش هذا الشعب على ذاته وانعزل متبعاً نمط حياة بطريكيًا قُبليًا، قائماً على الصلابة، ومنغلقاً. حتّى إنَّ الخلافة البطريركية في جبال كردستان أصبحت منذ سنة ١٤٥٠ وراثية من عم إلى ابن أخ متّخذين اسم شمعون أو إيليا<sup>٣</sup>، وذلك وفق شروط خاصّة<sup>٤</sup>، فكان يُفترض بالبطريرك العتيد ألا يكون قد أكل لحماً قط، وإن في أحشاء أمّه، التي يجب عليها الامتناع عن هذا الطعام أثناء حملها به<sup>٥</sup>.

هذا الانعزال جعل أتباع الكنيسة السريانية الشرقية في العراق يُعرفون بالأشوريين نسبة إلى البلاد التي توطّنها، وامتنعوا في جبالها، مثلما فعل الموارنة في جبل لبنان، ومثل هؤلاء حقّق أولئك نوعاً من الاستقلال الواقعي، حيث لم يكن أحد ليجرؤ على

---

١ - لبونا، مرجع سابق، ص ٢٢٤؛ ولكن يبدو أنّ قسماً من أبناء الكنيسة السريانية الشرقية في الهند قد بقي على انتمائه، فإنّ المرجع نفسه يذكر أنّه في مطلع القرن السادس عشر، جاء لسفك كلدانيّ من الهند اسمه توما، وقُدّم للتّمسك إلى البطريرك إيليا الخامس (١٥٠٢ - ١٥٠٤) يطلب منه أن يرسم أساقفة للهند، فرسم لهم ثلاثة أساقفة وأرسلهم إلى هناك.

٢ - بدراويد، مرجع سابق، ص ١٨١.

٣ - يتيّم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، مرجع سابق، ص ٣٦٤.

٤ - تنبّه متوتّلت أنّ العائلة التي كانت تسيطر على الشؤون الدينية في كنيسة الشرق يومذاك هي عائلة "لبونا"، ويروي بخفّة معاصر يتحدّر من هذه العائلة || لبونا، مرجع سابق، ص ٢٢٥. | لأنّ من أعضاء هذه الأسرة كان يتمّ انتخاب الجثاقفة (البطاركة) وكان طيموثاوس الثاني (١٣١٨ - ١٣٢٢) هو الأوّل من هذه السلالة، وتلّح الجثاقفة "الأبونيّون" على كرسيّ المشرق، عن طريق الانتخاب الشرعيّ، إلى البطريرك شمعون الباسيدي (١٤٢٧ - ١٤٦٧) الذي سنّ قانوناً يقضي بإقامة بطاركة من عائلة "لبونا" دون غيرها، فتشكّل الرئاسة من شخص إلى أخيه أو ابن أخيه. وهكذا أصبحت البطريركية وراثية في كنيسة المشرق، وكفّت تشلّج هذا الإجراء وخيمة على الكنيسة، إذ ارتقى السدة البطريركية لئاس غير جديرين على جميع الأصعدة، دون أن يبالوا باحتياجات الأساقفة والمطرنة الذين أدركوا ما ينطوي عليه هذا القانون من التّبع لحقّهم المشروعة ومن الشرّ للكنيسة.

٥ - RONDOT PIERRE, *LES CHRÉTIENS D'ORIENT*, (PARIS, 1955) P. 159.

اجتياز مواقعهم. فبلاد آشور قديمة في شمالي ما بين النهرين، استوطنها منذ الألف الثاني قبل الميلاد شعب سامي قديم وأنشأ فيها دولة ازدهرت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، فبسطت سيادتها على سائر بلاد ما بين النهرين ثم امتدت إلى سائر بلدان الشرق، وكانت لها إمبراطورية واسعة. إشتهر من ملوكها تغلاتلاسر الأول ١١١٧ - ١٠٧٧ ق.م.، وسرجون الثاني ٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م.، وأشور بانيبال ٦٦٩ - ٦٣٠ ق.م.، إلى أن قضى عليها الميديون والبابليون ٦١٢ - ٦١٠ ق.م.؛ أما مدينة آشور فيعود تأسيسها إلى الألف الثالث ق.م.، وقد جعلها الآشوريون عاصمتهم الأولى، فأقام فيها توكوليتي - نيتورتا الأول ١٢٦٠ - ١٢٣٢ ق.م. هيكلًا للإله آشور، كبير الآلهة عند الآشوريين القدماء، وهو إله الحكمة والحرب الذي حلّ محلّ الإله إنليل في القرن الثالث قبل الميلاد. ومن الباحثين من يعتبر أن المدينة قد بُنيت على اسم هذا الإله وليس العكس. وقد استمرت، حتى انتقال العاصمة إلى نينوى في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، مركزًا دينيًا خطيرًا. ثم احتلّها الفرثيون سنة ١٤٠ ق.م. فازدهرت في أيامهم إلى أن خربها الرومان وأتمّ الفارسيّ شابور الأول تدميرها سنة ٢٥٧.

هذه هي البلاد التي امتنع فيها السريان الشرقيون وحملوا اسمها، وقد دام هذا الامتناع طويلاً: فإنّ موظفًا عثمانيًا اضطرّ سنة ١٨٣٥ إلى أن ينتقل من الموصل نحو القسطنطينية عبر طريق غير طريق ديار بكر المعتادة، فاجتاز مناطقهم. ولقد دهش هذا الموظف، أيما دهشة، عندما قال للناس هناك إنه عثماني، ولم يفهموا معنى ذلك. بل لم يكونوا يعرفون شيئاً عن السلطان ولا يهتمون بذلك أبداً. وعندما أدركوا أنه مسلم قالوا له إنهم هناك منذ أزمنة ما قبل نبيّه محمد. وقد ترك هؤلاء الموظف العثمانيّ المسلم يمرّ دون أدبيته، واقتروا على نوع من العلاقة الطيبة. وقالوا له إنهم في ما

مضى لم يسبق لهم أن رأوا خيلاً يجتاز جبالهم. وعندما وصل الرجل إلى "قان"، قال له أميرها إنه لم يسبق له أن رأى إنساناً ينزل من تلك الجبال<sup>١</sup>!

## من مآثر الترك

بقي هؤلاء المسيحيون منتعنين في جبالهم حتى جاء المرسلون الإنكليز في منتصف القرن التاسع عشر، وطلبوا من السلطات العثمانية أن تسهل لهم الإتصال بهؤلاء في منطقة هاكياري HAKKIARI، فوجد الباب العالي من واجبه أن يؤمن للإنكليز الحماية ويوظف هذه الخدمة لدى سفارته، وأنفذ العثمانيون بذلك سلطتهم تدريجاً على أمير هاكياري الكردي الذي ألزم بدفع الضريبة للسلطنة. وراح العثمانيون يحرّضون الأكراد على المسيحيين، فقام أمير بوتان الكردي سنة ١٨٤٣ بحملة شرسة على المناطق المسيحية، أتبعها بحملة أخرى سنة ١٨٤٦ نفذ خلالها جيشه الكردي منبحةً شنيعة ذهب ضحيتها عشرات آلاف النساطرة، وبمرت الرسائل الإنكليزية والأوروبية التي كانت قد أسست في تلك المناطق. وعندما طالبت لندن السلطنة العثمانية بردع الأكراد، قام هذا الردع بتدمير إمارتي أكياري وبوتان وبالسيطرة على الأكراد والأشوريين معاً، وبوضع المنطقة تحت الرعاية العثمانية المباشرة<sup>٢</sup>. وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى، أمر السلطان العثماني محمد رشاد بإيادة جميع مسيحيي منطقة هاكياري، ومعظمهم من الأشوريين، وبعضهم من الأرمن.

---

١. RONDOT PIERRE, *LES CHRÉTIENS D'ORIENT*, P.161.-

٢. Op. Cit., P. 161.-

فراح الجنود، بموازنة الأكراد المسلمين، ينبحون أهالي القرى الآشورية المعزولة والخالية من السلاح، وقد اقتادوا الشبان والرجال إلى مراكز السلطات العسكرية وأبادوهم بالرصاص، ومن استطاع منهم الهرب لجأ إلى قوجانس حيث مركز البطيركية، أو إلى أية عشيرة مقيمة في الجبال. أمام هذا الواقع عمدت الدولة العثمانية إلى قطع الطريق بين العشائر ومركز البطيركية، وحرّضت الأكراد ضد الآشوريين من جديد وسلّحتهم. فاشتعلت حرب بين الفئتين غير متكافئة القوى<sup>١</sup>. وفي ١١ حزيران (يونيو) ١٩١٥ هاجمت العشائر الكردية، تدعمها الوحدات التركية بالرجال والسلاح، مواقع الآشوريين في جميع الجهات. وقد استطاع المقاتلون المسيحيون أن يفتحوا طريقاً إلى إيران نقلوا عبرها الأطفال والنساء وقطعان الماشية، ليتفرّغوا من ثمّ لحرب ضروس دارت رحاها بينهم وبين المسلمين من أكراد رعا عثمانيين نظاميين في جبال هكاري، بيد أن استفرادهم من قبل الأمبراطورية جعلهم غير قادرين على الصمود أكثر من أربعة أشهر، انسحبوا بعدها إلى أنريجان وتوزعوا في مناطقها<sup>٢</sup>.

والذين صمدوا منهم متخفين في الجبال، تعرّضوا لمنبحة على يد الأكراد بدعم تركي نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨، وقد نُقلوا على يد الجيش البريطاني إلى منطقة بغداد بقيادة زعيمهم آغا بطرس بعد مقتل قائدهم الديني داود الملقب بمار شمعون. وقد شكّل الجيش البريطاني فرقة عسكرية من هؤلاء عملت إلى جانبه ضدّ الأكراد حيناً وضدّ العراقيين حيناً آخر. بينما استمرّ نزوح الآشوريين إلى العراق من

---

١ - لوشانا الأرشمندريت ليفان، المنارة، السنة ٢٧، المجلد الأول والثاني (١٩٨٦) ص ١٦٦.

٢ - المرجع السابق، ص ١٧٠.



تركيا وإيران، ثم أقدم العراق سنة ١٩٢٦، إثر هذا التدفق الكثيف، على إسكان الآشوريين في شمالي البلاد. وفي العام ١٩٣١، وسط الحركات الكيانية في المنطقة، طالب الآشوريين بالحصول على إدارة ذاتية هناك. وعندما اكتشفت الحكومة العراقية ربيع تلك السنة أن الآشوريين يتعاونون مع الأكراد بهدف إنشاء كيان مستقل بدعم من البريطانيين، سارعت إلى القبض على قادة تلك الحركة الذين اعترفوا بما نسب إليهم من محاولات انفصالية باءت بالفشل. بيد أن ذلك لم يمنع الآشوريين من أن يقوموا بحركة ثورية بهدف خلق وطن مستقل لهم سنة ١٩٢٣<sup>١</sup>. وكان الموصل أرض الحلم بوطنهم الموعود، بأقليته الثلاثة: العمدية وهوك وزاخو. وكان زعيم الآشوريين، مار شمعون الجديد، قد توجه إلى عصبة الأمم سنة ١٩٣٢ للمطالبة بوطن قومي للآشوريين في العراق. ولكن عصبة الأمم قد اتخذت يومها قراراً برفض هذا الطلب. وإذ ينس الآشوريون من الدعم البريطاني وحاولوا التعاون مع الفرنسيين في سورية، توقفت الدولة صاحبة التاج عن مدّهم بالمال والسلاح، فكان أن تعرضوا للتصفية العسكرية في صيف ١٩٣٣<sup>٢</sup>.

وهكذا، فقد استمرت المذابح التي تعرض لها الآشوريون، وإن بتقطع، حتى العام ١٩٣٣. فبعد منطقة هاكيارى تعرض سائر المناطق المسيحية المحيطة لهجمات مماثلة، وقد ناضل الآشوريون وحدهم من أجل البقاء دون أن يمدّ لهم أحد يد العون. وكان آخر تلك المذابح الجماعية تلك التي جرت في خلال ثلاثة أيام بين الخامس والسابع من شهر آب (أغسطس) سنة ١٩٣٣، فكانت قاضية عليهم.

---

١ - محمود الدرة، القضية الكردية (١٩٦٦) ص ١٦٢.

٢ - راجع: محمد السمك، الاقليات بين العروبة والاسلام، دار العلم للملايين (بيروت، ١٩٩٠) ص ١١١.

إثر ذلك هاجر آلاف الآشوريين إلى لبنان وإلى الولايات المتحدة الأميركية. ونقل بطريرك النساطرة مقره إلى الهند. ومن تبقى من الآشوريين في العراق، وهو أقلية ضئيلة، توزع على لوائي الموصل وأربيل، وعلى مدينة بغداد. أما أوضاعهم الحيائية والمعيشية فتختلف باختلاف المنطقة التي يسكنونها. وقد غدوا على أي حال، أقلية مسالمة تتعاون مع كل حكم يقوم بالنظر لضعف شأنها ولانعدام إمكاناتها.

ولا يزال الشعب الآشوري، الذي تشتت في العالم، يُحيي، في كل عام، ذكرى سقوط شهداء المذابح التي تعرضوا لها في تلك الأيام الثلاثة بين الخامس والسابع من شهر آب (أغسطس) سنة ١٩٣٣.

## أشوريون وكلدان

لم تمنع الاضطهادات الدينية الشعب الآشوري من الانقسام كنسياً، على غرار ما حصل بالنسبة لمئات أتباع الكنائس الشرقية، ما سوف يؤدي إلى انقسام الكنيسة السريانية الشرقية، التي كانت تلقب بالنسطورية، إلى كنيستين: كلدانية كاثوليكية، وأشورية أرثوذكسية، وسوف تنقسم هذه الأخيرة لاحقاً بدورها إلى كنيستين.

المحاولة الأولى التي جرت لضم هذه الكنيسة إلى روما كانت قد جرت في زمن المغول، في عهد البطريرك سبريشوع الخامس (١٢٢٦ - ١٢٥٧)، الذي استقبل أول الرهبان الدومنيكان، وأرسل سنة ١٢٤٧ موفداً خاصاً إلى البابا اينوقنتيوس الرابع (١٢٤٣ - ١٢٥٤) هو الراهب شمعون الملقب بـ "عطا" محملاً إياه رسالة تعلن صورة إيمانه، وفيها يطلب الإتحاد مع روما. ولكن تلك المحاولة باءت بالفشل. كذلك كان

مصير المحاولة الثانية التي جرت في عهد البطريرك المغولي الأصل يهبالاها (١٢٨١ - ١٣١٧) الذي أوفد الراهب برصوما الصيني الأصل بالإتفاق مع الأمير المغولي أراغون كما جاء أعلاه.

وفيما يعتبر باحثون أن محاولات انضمام الكنيسة السريانية الشرقية قد توقفت حتى سنة ١٥٥١<sup>١</sup>، يرى آخرون أنه قد انضم بعض النساطرة في القرن الخامس عشر إلى الكنيسة الرومانية بمناسبة انعقاد مجمع فلورنسا (١٤٣٩ - ١٤٤٢) فتلقّبوا "بالكلدان"، كما طلب إليهم ذلك البابا أوجانيوس الرابع (١٤٣١ - ١٤٤٧)، وعُرفت كنيستهم بالكنيسة الكلدانية منذ ذلك التاريخ. ولكن هذا الاتحاد لم يحم إلا مدة وجيزة، فعادوا إلى النسطورية<sup>٢</sup>. على أي حال فإن نشأة الطائفة الكلدانية، كما سوف يتبين، قد تمت على مراحل متعدّدة وليس في حقبة واحدة.

سنة ١٥٥١ توفي البطريرك شمعون السابع، وبما أن التقليد، كما سبق أن ذكرنا، كان يقضي بأن تنتقل البطريركية بالإرث، وغالبًا لابن أخي البطريرك الأخير، لم يجد معظم الناس في ابن أخ البطريرك الراحل: دنحاً<sup>٣</sup>، الصفات التي تؤهله للبطريركية. وبينما أصرّ بعض من الأشوريين على أن يكون دنحاً بطريركاً، حمل لقب شمعون الثامن برماما، ظهرت في كنيسة المشرق حركة تهدف إلى تصحيح الأوضاع والقضاء على التدابير التعسفية وإلغاء قانون الوراثة في رئاسة الكنيسة. تزعم هذه الحركة ثلاثة

---

١ - لبونا، مرجع سابق، ص ٢٢٥.

٢ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ٣٥٧.

٣ - يرد هذا الاسم في المراجع تارة "دنحاً" وطوراً "دنخاً"، وبرائنا أن دنحاً هو الصحيح.

أساقفة، عقدوا اجتماعاً أول في "جزيرة ابن عمر"<sup>١</sup> ضمّ قسمًا من الإكليروس والشعب، ثم استأنفوا الاجتماع في الموصل مطلع سنة ١٥٥٢، وقرّ رأي المجتمعين على انتخاب رئيس جديد لكنيستهم، وتوجّهت أنظارهم إلى الراهب يوحنا سولاقا رئيس دير "الربان هرمزد" في "القوش"<sup>٢</sup> لهذا المنصب الخطير، لما كان يمتاز به سولاقا من التقوى والعلم والانفتاح. فاستدعاه المجتمعون إلى مدينة الموصل القريبة من الدير حيث ناشدوه قبول هذه المهمة، فقبلها على مضض<sup>٣</sup>. وانتخب سولاقا بطريركاً لكنيسة ما بين النهرين، بموجب القوانين المثبتة في مجامع كنيسة ساليق وطيسفون. وإذا كان سولاقا كاثوليكيًا، أقرّوا اتحاد كنيسة ما بين النهرين بكنيسة روما<sup>٤</sup>. وسافر سولاقا إلى الفاتيكان في ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٥٥٢، يرافقه وفد من الأعيان ورجال الدين، وقدم صورة إيمانه الكاثوليكي إلى البابا يوليوس الثالث (١٥٥٠ - ١٥٥٥) الذي أمر برسامته أسقفًا من قبل ثلاثة كرادلة في ٩ نيسان (إبريل) ١٥٥٣، ثم أعلنه بطريركاً على الموصل للكنيسة التي عُرفت بالكلدانية<sup>٥</sup>، في بازيليك يوحنا اللاطرائي في ٢٨ نيسان (إبريل)، باسم شمعون يوحنا سولاقا، وقلّده البابا درع الرئاسة المعروف بالباليوم. وهكذا كانت أول كنيسة شرقية، بعد الكنيسة المارونية، تتحد بروما بصورة رسمية.

١ - جزيرة ابن عمر: مدينة في تركيا على نهر دجلة أسسها الحسن بن عمر بن الخطّاب لتتطوّر حوالي ٩٦١، وكثرت ميناء لرمينيا تنقل منها صادراتها من الصل والزبد والبنّاق واللوز والفستق إلى الموصل.

٢ - أبونا، مرجع سابق، ص ٢٢٥.

٣ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ٣٥٨.

٤ - أطلق اسم بلاد الكلدانيين خطأ على بلاد ما بين النهرين بلسرها، وقد عُرفت بهذا الاسم في الألف الأول ق.م. المنطقة الغربية من الخليج العربي جنوب العراق.

عاد البطريرك الجديد إلى بلاده في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٥٥٣، مصطحباً معه أشخاصاً يساعده في نشر التعاليم الصحيحة في بلاده، وجعل مقره في مدينة آمد<sup>١</sup>، وياشر على الفور بتنظيم جماعته الكاثوليكية، فرسم خمسة أساقفة لكل من: آمد، والجزيرة وماردين، وسعرت، وحسن كيفا، وثلاثة آخرين، مثبتاً بذلك مركزه ومُشجّعاً الكثيرين من محبي الإتحاد بكنيسة روما<sup>٢</sup>. وقد أسفرت جهوده عن ازدياد عدد المنتسبين إلى كنيسة<sup>٣</sup>.

إلا أن تلك الكنيسة الكلدانية الفتيّة لم تتمكّن من الصمود في وجه النظام العثمانيّ الذي حرّضه عليها البطريرك النسطوري شمعون الثامن برماما، فسارع العثمانيّون إلى إلقاء القبض على البطريرك سولاقا وقتلوه في ١٢ كانون الثاني (يناير) سنة ١٥٥٥ بإلقائه في بحيرة صغيرة في الجبال بعد إذاقته مرّة العذاب، فكان أول شهيد الإتحاد. غير أن شمعون الثامن لم يتمكّن من جمع شمل الكنيسة بأجمعها تحت سلطانه، وبقي الفرع الكاثوليكيّ منفصلاً عنه<sup>٤</sup>. فتأصلّ العداء بين فرعيّ هذه الكنيسة، وكان العثمانيّون يساندون الفرع النسطوريّ، ما اضطرّ البطريركيّة الكلدانية، تجنّباً للاضطهاد، إلى الانتقال من آمد إلى سعرت فألى أورميا وسلماس في أنريجان. وخلف سولاقا بطاركة كاثوليك حملوا اسم "شمعون"، لجأوا إلى شمال إيران، ولبثوا متّحدين بكنيسة روما مدة قرن كامل، إلى أن عاد البطريرك شمعون الثالث عشر (١٦٦٢ - ١٧٠٠) إلى النسطورية. وانتقل مع أتباعه إلى بلدة قوجانس (كوتشانس)

---

١ - آمد: هي ديار بكر في العراق.

٢ - بدلويد، مرجع سابق، ص ١٨٢.

٣ - لبونا، مرجع سابق، ص ٢٢٦.

٤ - بدلويد، مرجع سابق، ص ١٨٢.

شرقيّ تركيا في جبال كردستان حيث بقي الكرسيّ النسطوريّ، أو الآشوريّ، حتّى الحرب العالميّة الأولى. واضطرّ أحفاد هؤلاء في نهاية الحرب العالميّة الأولى إلى ترك مناطقهم لتورّطهم مع الروس ضدّ الأتراك، فجلّوا آخر الأمر إلى العراق ورُحّل قسم منهم إلى منطقة الخابور الأعلى في الجزيرة - سوريا. وكانوا قد تَخَلَّصوا من اسمهم القديم "النساطرة" فأُطلق عليهم اسم "الآشوريّين" لِيتميّزوا عن الكلدان الكاثوليك، واتَّخذوا مؤخراً إسمًا رسميًا لكنيستهم هو "كنيسة الشرق الآشوريّة"<sup>١</sup>.

أمّا بطاركة النساطرة، خلفاء "شمعون الثامن دنحا" فقد حملوا اسم إيليا، وأقاموا بالموصل، وقامت بينهم وبين روما في القرن السابع عشر علاقات متقطّعة سطحيّة لم تُسفر عن اتّحاد دينيّ<sup>٢</sup>. وينبئنا بعض الباحثين أنّ الأسقف ليوناردو هايل الذي حضر إلى المنطقة قبل نهاية القرن السادس عشر<sup>٣</sup> قد اتّصل ببطريك النساطرة إيليا السابع<sup>٤</sup>، وحرّضه على الاتّحاد بالكنيسة الرومانيّة. فكتب البطريرك إلى الحبر الأعظم كتابًا عبّر له فيه عن إيمانه، وجرت بينه وبين روما مراسلات كثيرة<sup>٥</sup>.

١ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، مرجع سابق، ص ٣٥٨، ٣٦٤.

٢ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، ص ٣٥٨.

٣ - حضر الأسقف ليوناردو هايل من روما إلى الشرق بناء على طلب قائم بطريك السريان الغربيّين نعمة الله لسفر إلى البابا غريغوريوس الثالث عشر (١٥٧٢ - ١٥٨٥) ليُتّصل بخلفه البطريرك دلود شاه (١٥٧٦ - ١٥٩١) بغية الاتّحاد مع الكنيسة الرومانيّة.

٤ - لم تمكّن المصادر التي بين أيدينا عن تاريخ عهد البطريرك النسطوريّ إيليا السابع، ولكنّ عهد إيليا الخامس قد امتدّ بين ١٥٠٢ و ١٥٠٤، وعهد إيليا التاسع مروجين بين ١٦٦٠ و ١٧٠٠، والقاصد البيلويّ ليوناردو قد حضر إلى المنطقة في عهد البطريرك المونوفيزيّ دلود شاه (١٥٧٦ - ١٥٩١)، ما من شكّ أن يفيد عن أنّ ذلك الاتّصال قد حصل قبل نهاية القرن السادس عشر.

٥ - يتيم وديك، مرجع سابق، ص ٢٨٩.

ويبدو أن الاتصال بين الكلدان وروما لم ينقطع. وقد قام به هذه المرة يوسف أسقف ديار بكر<sup>١</sup> السرياني الشرقي الذي اعتنق الكاثوليكية سنة ١٦٧٢، وتمكن، وبإغرابة، من أن يحظى من السلطان العثماني بفرمان يقره بطريركاً على ديار بكر وماردين وتوابعهما مستقلاً عن سلطة البطريرك النسطوري<sup>٢</sup>. ومنح البابا اينوقنتيوس الحادي عشر (١٦٧٦ - ١٦٨٩) هذا البطريرك الذي عُرف باسم يوسف الأول سنة ١٦٨٣ لقب بطريرك الكلدان<sup>٣</sup>. وكان هذا البطريرك قد ذهب إلى روما وبلدان أوروبية أخرى آملاً بالحصول على مساعدات كانت كنيسة بأمس الحاجة إليها، ولكنه لم يلق سوى مبالغ زهيدة<sup>٤</sup>. وكانت المتاعب قد أثرت في البطريرك تأثيراً بليغاً، فاستقال وسافر إلى روما، بعد أن عين خلفاً له بصفة بطريرك، المطران يوسف صليبا، فاتخذ اسم يوسف الثاني<sup>٥</sup>، واعترفت به روما سنة ١٦٩٦ بطريركاً للكنيسة

١ - يذكر "لبنان، ص ٢٢٧، أن الكاثوليكية كانت قد تأسست في ديار بكر بهمة المرسلين الكوشيين وغيرهم الذين استطاعوا أن يقنعوا الكثيرين من النسطورية بالانضمام إلى الوحدة مع روما. وكان يوسف مطران ديار بكر نفسه من الذين انضموا إلى الوحدة.

٢ - يذكر "لبنان، ص ٢٢٧، أن البطريرك النسطوري يلياً التاسع مروجين (١٦٦٠ - ١٧٠٠) كان واقعاً بالمرصاد لهذه الحركة، فخير مع "المتمسك" لعماني الأمر إلى أن زج البطريرك يوسف في السجن، وأخضعه لاستطاقات عدة، لكن "المتمسك" هتق أخيراً بصنقه ونزاعته، فطلق سراحه، واعترف بسلطته على ماردين وديار بكر، وأعلن استقلاله عن البطريرك النسطوري. لكن متمسكاً جديداً لقي يوسف في السجن، وهناك أصابه من التعذيب ما يعجز اللسان عن وصفه، حتى لُقّب بالبطريرك الشهيد، ولدى خروجه من السجن تلقى تهاني البابا انقليس العاشر سنة ١٦٧٣؛ طالع ما كتبه عنه أنير لامبار بالأمانيّة: شهيد الاتحاد مع روما، يوسف الأول بطريرك الكلدان (الوزون ١٩٦٦).

٣ - بدلويد، مرجع سابق، ص ١٨٣؛ قبل: لبنان، مرجع سابق، ص ٢٢٧، الذي جعل هذا التاريخ سنة ١٦٨١.

٤ - لبنان، مرجع سابق، ص ٢٢٧.

٥ - يوسف الثاني صليبا آل معروف (١٦٦٧ - ١٧١٢) بطريرك كلداني ١٦٩١ حتى وفاته، وكّد في تكليف التبعية للموصل، قصد ديار بكر منذ صباه والتحق ببطريركها يوسف الأول الذي رسمه شملتاً ثم كاهناً، رآه إلى الدرجة الأسقفية وعيّنه معلوماً له ١٦٩١، عيّنه خلفاً له واستقال لشدة ما أساءه وذهب إلى روما، لهدى يوسف الثاني نشاطاً كبيراً في حقلي الإدارة والأدب، أجرى إصلاحات كبيرة في الكتب المطبوعة واستحدث فروعاً لأعياد لم تكن موجودة لدى الشرقيين ونقح صلوات الأعياد الأخرى ووضع كتباً كثيرة لقيت قبلاً شديداً في عصره كلفت خير وسيلة لدعم الإيمان وتقوية الشعب المسيحي، لم تخلُ حياته من محن واضطرابات من قبل الفئة المعنونة حتى رغب في أن ينزل في لبنان فرفضت روما طلبه، مات بداء الطاعون في ٢ حزيران (يونيو) ١٧١٢.

الكلدانية<sup>١</sup>؛ ثم خلفه البطريرك يوسف الثالث<sup>٢</sup> الذي عقد مع البطريرك النسطوري اتفاقاً سلس الأخير بموجبه أبرشيّة الموصل وحلب، واحتفظ يوسف بديار بكر وماردين<sup>٣</sup>، وقد أقر الباب العالي هذا الإتفاق<sup>٤</sup>. فعانى الكاثوليك الكلدان في مدينتي الموصل وحلب صعوبات جمة في ما يتعلق بممارسة شعائر ديانتهم. وغادر البطريرك يوسف الثالث الشرق وسافر إلى أوروبا لجمع التبرعات. وطالت غيبته فتتمّر أبناء الطائفة. فالتفت روما هذا التعيين، وتوفي البطريرك سنة ١٧٥٧، ولم يكن للطائفة الكلدانية إلا أسقف واحد، وقد بلغ الخامسة والتسعين من العمر، فانتخب المؤمنون خلفاً له لعازر هندي<sup>٥</sup>،

١ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ٣٥٨ - ٣٥٩.

٢ - يوسف الثالث طيموثاوس مروجين: بطريرك كلداني ١٧١٢ - ١٧٥٧ خلفاً لمطمه يوسف الثاني، كان مطرناً على ماردين منذ ١٧٩٦، أعرب البطريرك يوسف الثاني قبل وفاته عن رغبته في أن يخلفه، فنتخب بالطرق القنونية ونال تليد روما ١٧١٤، تعرض لمضايقات النسطرة لكنه تمكن من استمالة كثرية المؤمنين فاعاد الكثيرين إلى الوحدة مع روما خاصة بعد زيارته للموصل ١٧٢٨، سافر إلى روما والبلدان الأوروبية لطلب المعونة ومكث في عاصمة الكنيسة ١٧٣٥ - ١٧٤١ ثم عاد إلى بلاده.

٣ - سلس الأب إسحق أرملة في كتابه "قصارى في نيكيت النصرى" ص ٣٤ - ٤٤ أساقفة ماردين الكلدان على الشكل التالي: عرفت إنذاك الكنيسة في ماردين بمساعي البطريرك يوحنا شمعون الثاني الذي رسم للأبرشية مطرناً يقال له حننيشوع (١٥٥٣ - ١٥٨٤) خلفه يعقوب (١٦١٥)، فيوحنا (١٦٤١)، فيوسف (١٦٧٨)، فشمعون (١٦٩٥)، فطيمثاوس (١٧٥٩)، فياسيل حصرور (١٧٣٨)، فياسيل الثاني (١٧٥٨)، فشمعون الثاني (١٧٨٨)، فيخايل شوريز (١٨١٠)، فاغناطيوس دشو (١٨٦٨)، فجيرتيل فرسو (١٨٧٣) فطيمثاوس عطار (١٨٩١)، فإليّا ملّوس (١٩٠٨)، فلسميد إسرائيل لود الذي نصب مطرناً لماردين في ١١ تيار (مايو) ١٩٠٩ وتمّت رسامته في الموصل في ٢٧ شباط ١٩١٠.

٤ - خليفة هذا الاتفاق بحسب المراجع الكلدانية أن نعمة النسطرة قد انتهت على البطريرك الكلداني بعد تمكنه من استمالة نسطرة الموصل إلى كنيسه، فاستولى النسطرة على الكنيسة وتمكنوا من إلقائه في السجن بقرّة السلطات الحاكمة، أخيراً توصل وكيله في العاصمة العثمانية إلى الحصول على فرمان يقضي بهذا الاتفاق - لبونا، مرجع سابق، ص ٢٧٨.

٥ - يوسف الرابع لعازر هندي: بطريرك كلداني ١٧٥٧ - ١٧٨١، ذكرت مراجع أخرى أن يوسف الثالث هو الذي رسمه خليفة له، ونال تليد روما ١٧٥٩، سافر إلى روما ١٧٦١ حيث طبع كتاب طقس القُدّس والأنجيل، عاد من روما واستقال ١٧٨١ وسلم إدارة البطريكية إلى ابن أخيه أوغسطينس وهو ما يزال كاهناً واعتزل في روما حيث توفي ١٧٩١.



فَاتَّخَذَ الْبَطْرِيْرِكُ الْجَدِيْدُ سَنَةَ ١٧٥٩ اسْمَ يُوْسُفِ الرَّابِعِ<sup>١</sup>. وَاسْتَقَالَ مِنْ مَنَصْبِهِ سَنَةَ ١٧٨١ تَارِكًا تَدْبِيْرَ الْبَطْرِيْرِكِيَّةِ إِلَى ابْنِ اَخِيهِ اَوْغُسْطِيْنُسْ هِنْدِي الَّذِي لَمْ تَعْتَرَفْ بِهِ رُوْمَا لِأَنَّهُ لَمْ يُنْتَخَبْ بِشَكْلِ شَرْعِيٍّ، إِلَّا أَنَّهُ بَقِيَ يَدِيْرُ شُؤْنَ الْكَلْدَانِ الْكَاثُولِيْكَ فِي دِيَارِ بَكْرِ حَتَّى وَفَاتِهِ، قَامَ اَوْغُسْطِيْنُسْ هِنْدِي بِإِدَارَةِ شُؤْنَ الْبَطْرِيْرِكِيَّةِ وَهُوَ كَاهِنٌ، ثُمَّ كَمْطَرَانٌ مِّنْذَ ١٨٠٤، وَكَانَ يَمْنَحُ نَفْسَهُ لِقَبِ الْبَطْرِيْرِكِ وَيَدْعُوْ نَفْسَهُ يُوْسُفَ الْخَامِسَ لَكِنَ رُوْمَا لَمْ تَمْنَحْ هَذَا اللَّقْبَ قَطْ. حَيْثُ عَيَّنَ الْبَابَا بِيُوسَ الثَّمَانِيْنَ فِي ٥ تَمَّوْز (يُولْيُو) ١٨٣٠ الْأَسْقَفَ الْمَوْصَلِيَّ الْمَتَكَتَّاكَ يُوْحَنَّا هَرْمَزْدَ بَطْرِيْرِكًا وَمَنْحَهُ لِقَبَ: بَطْرِيْرِكِ بَابِلَ عَلَى الْكَلْدَانِ. وَكَانَ يُوْحَنَّا هَرْمَزْدَ ابْنَ عَمِّ الْبَطْرِيْرِكِ النَّسْطُوْرِيِّ إِيْلْيَا الثَّلَاثَ عَشَرَ، وَقَدْ جَعَلَ الْمَوْصِلَ مَقَرَّ الْكُرْسِيِّ الْبَطْرِيْرِكِيِّ، وَتَوَفَّى عَامَ ١٨٣٨ لَتَسْتَمِرَّ مِنْ بَعْدِهِ سُلْسَلَةُ الْبَطْرَاكَةِ الْكَلْدَانِ الْكَاثُولِيْكَ إِلَى الْيَوْمِ<sup>٢</sup>.

وَقَدْ رَدَّ بَاخْتُوْنُ سَبَبَ عَدَمِ اعْتِرَافِ الْبَابَا بِاَوْغُسْطِيْنُسْ هِنْدِي مَدْبِرًا عَلَى الطَّائِفَةِ الْكَلْدَانِيَّةِ، إِلَى أَنَّ الْبَطْرِيْرِكِيْنَ النَّسْطُوْرِيِّيْنَ فِي كُرْدِسْتَانِ وَالْعِرَاقِ، كَانَا قَدْ أَظْهَرَا رَغْبَتَهُمَا فِي الْإِتِّحَادِ بِالْكَنِيسَةِ الرُّومَانِيَّةِ. وَلَمْ يَكُنْ بُوْسَعُ الْحَبْرِ الْأَعْظَمُ أَنْ يَعْتَرَفَ بِرَئِيْسِ ثَلَاثَ عَلَى طَائِفَةِ ضَمِيْلَةِ الْعَدَدِ. وَاكْتَفَى بَطْرِيْرِكُ كُوْتَشَانَسْ فِي كُرْدِسْتَانِ بِإِيْدَاءِ مِيُولِهِ الْكَاثُولِيْكَِيَّةِ دُونَ أَنْ يَحَقِّقَهَا فِي الْوَاقِعِ. أَمَّا بَطْرِيْرِكُ الْمَوْصِلِ إِيْلْيَا الثَّانِي عَشَرَ (١٧٢٢ - ١٧٧٢) فَقَدْ أَرَادَ أَنْ يَتَّحِدَ بِالْكَنِيسَةِ الرُّومَانِيَّةِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتِمَّكَنْ مِنْ تَحْقِيْقِ رَغْبَتِهِ. وَخَلَفَهُ إِيْلْيَا الثَّلَاثَ عَشَرَ (١٧٧٨ - ١٨٠٤) وَكَانَ نَسْطُوْرِيًّا، وَكَانَ ابْنُ عَمِّهِ يُوْحَنَّا هَرْمَزْدَ قَدْ نَالَ الدَّرَجَةَ الْأَسْقَفِيَّةَ وَهُوَ صَغِيْرُ السِّنِّ، فَاعْتَقَ الْمَذْهَبَ الْكَاثُولِيْكَِيَّ.

١ - يَتِيْمُ وَدِيْك، تَارِيْخُ الْكَنِيسَةِ الشَّرْقِيَّةِ، ص ٣٥٨ - ٣٥٩.

٢ - بَدْلُوِيْد، مَرْجِعُ سَلِيْق، ص ١٨٣.

ولكنّ روما لم تعترف به بطريكاً إكراماً للبطريك إيليا الثالث عشر، بل أقرته متروبوليتاً على الموصل. وبقي أوغسطينس هندي في ديار بكر يدير شؤون الكاثوليك. وكان يوحنا هرمزد وأوغسطينس هندي يطمحان كلاهما إلى الرئاسة العليا على الكلدان الكاثوليك. وتوفي البطريك إيليا الثالث عشر النسطوري عام ١٨٠٤، فلم يخلفه أحد إذ كان يوحنا هرمزد مقيماً بالموصل. ثم توفي أوغسطينس هندي سنة ١٨٢٨، فعين البابا بيوس الثامن في ٥ تمّوز (يوليو) ١٨٣٠ المطران يوحنا هرمزد بطريكاً على الكلدان ومنحه لقب "بطريك بابل" فجعل الموصل مقرّ بطريركيّته، ولم يعد له منافس نسطوري إلا بطريك كوتشانس في كردستان. وتوفي عام ١٨٣٨ وارثه بعده السدة البطريكية المطران نقولا زياً في ٢٧ نيسان ١٨٤٠، وكثرت المشاكل في عهده، فاستقال وسافر إلى العجم، وتوفي سنة ١٨٥٥.<sup>١</sup>

فلما توفي يوحنا هرمزد في سنة ١٨٣٨، عيّنت روما خلفاً له نيقولاوس زيعا مطران سملاس<sup>٢</sup>، وهو أحد خرّيجي كلية انتشار الإيمان، وأيّنته في ٢٧ نيسان (إبريل) ١٨٤٠. إلا أنّ البطريك الجديد لقي من الصعوبات والمقاومات ما دفعه إلى الاستقالة والاعتزال في أبرشيّته القديمة سملاس حيث توفي سنة ١٨٥٥. وفي مدّة شغور الكرسيّ البطريكيّ جرّاء تلك الاستقالة عيّنت روما يوسف أودو مدبراً بطريكاً سنة ١٨٤٧، ثمّ اختاره السينودس الكلدانيّ بطريكاً باسم يوسف السادس أودو في نهاية سنة ١٨٤٧. وكان عهد هذا الأخير طويلاً (١٨٤٧ - ١٨٧٨) وحافلاً بالأعمال الجليلة

---

١ - ينيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ٣٥٩ - ٣٦٠.

٢ - سملاس: منطقة في أذربيجان شمال غربي بحيرة أورميا، فيها قرى كان يسكنها السريان والأرمن والكلدان واليهود مع كثرة من المسلمين الشيعة.

وبالصعوبات والمشاكل أيضًا<sup>١</sup>، وانضمّ في عهده كثير من النساطرة إلى الكنيسة الكلدانية<sup>٢</sup>. وقد ظهرت للصعوبات الأولى عندما طالب كلدان مَلْبَار<sup>٣</sup> بالحقهم بالبطريركية البابلية وبتعيين رؤساء لهم من طقسهم، فدارت مفاوضات عسيرة أدّت إلى خلافات طويلة بين البطريرك ودوائر الفاتيكان<sup>٤</sup>، إلى أن جاءت مبادرات جريئة من قِبَل البطريرك في شأن رسامة أساقفة دون أن يستأذن الحبر الأعظم الروماني، ما زاد العلاقات توترًا. وكاد البطريرك أن يُرشق بالحرم جرّاء تصرّفاته وخاصة بسبب موقفه من مقرّرات المجمع المسكوني الفاتيكاني الأول<sup>٥</sup>، وقد قام مشاغبون بدور سيء في دفع البطريرك أودو إلى التصلّب في موقفه<sup>٦</sup>. وفي ٢٥ كانون الثاني (يناير) ١٨٧٠، ألقى البطريرك "أودو" خطابًا تكلم فيه عن العلاقة بين روما والشرق، وشدّد على أنها "علاقة دينيّة، لا تهنّئية". ورفض التنازل عن حقوق الطقوس الشرقيّة وعواندها. وقد أحدث الخطاب ضجةً كبرى، وأثار الاكثريّة المحافظة المتمسّكة بأوليّة البابا وعصمته بحسب المفهوم الروماني. كما اغتاض البابا واستدعى البطريرك الكلداني، ووجّه إليه كلامًا قاسيًا نهرًا وتأنّيًا، وأجبره على الخضوع لكلّ ما فرضته

١ - لبونا، مرجع سابق، ص ٢٣٠.

٢ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، ص ٣٦٠ - ٣٦١.

٣ - مَلْبَار أو ملايلار: مقاطعة تقع الساحل الجنوبي الغربيّ للهند، تمتدّ من جوا إلى الطرف الجنوبيّ لشبه الجزيرة عند رأس كمورين، تحفّ بها منطقة خصبة؛ راجع كنيسة السريان المَلْبَار في هذا الكتاب.

٤ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقيّة، ص ٣٦٠ - ٣٦١.

٥ - المجمع المسكوني الفاتيكاني الأول: مجمع مسكوني عُقد في روما ١٨٦٩ - ١٨٧٠، دعا إليه وترأسه بيوس التاسع، درس قضايا الإيمان وحكّد عقيدة العصمة البابويّة.

٦ - لبونا، مرجع سابق، ص ٢٣٠.

البراءة الرسولية REVERSURUS، الصادرة بتاريخ ١٢ تمّوز (يوليو) عام ١٨٦٧، الموجهة إلى الأرمن، والتي سمحت لكرسي روما بالتدخل مباشرة بتعيين البطارقة والأساقفة<sup>١</sup>.

أمام هذا الواقع، عمّت الفوضى والانشقاق في صفوف أبناء الرعية، من مؤيدين لروما ومنلوئين لها<sup>٢</sup>. إلا أن البطريرك أبدى أخيراً خضوعه الكامل لمقررات روما في الأول من آذار (مارس) ١٨٧٧، عبر كتاب وجهه إلى الحبر الأعظم، أبدى له فيه خضوعه التام لأوامره ورغباته، أجابه البابا عليه في ٩ حزيران (يونيو) من السنة نفسها، بكتاب ملؤه الحنان والمودة<sup>٣</sup>. وتراجع المناوئون الآخرون أيضاً عن مواقفهم السلبية شيئاً فشيئاً، إلى أن بطلت تلك الحركة التي كانت تهدّد كنيسة المشرق الكلدانية بالانشقاق. وتوفي البطريرك يوسف السادس أودو في ١٤ آذار (مارس) ١٨٧٨ بعد أن قام بأعمال جليلة ومشاريع كبيرة لخير كنيسته، منها إنشاء معهد كهنوتي بطريركي في الموصل سنة ١٨٦٦<sup>٤</sup>. وقيل إنه عندما كان على فراش النزاع، كان يعبر عن تعلقه الشديد بالكنيسة الرومانية. وقد أهدى إلى البابا لاون الثالث عشر أجمل خواتمه البطريركية<sup>٥</sup>.

---

١ - كيكب د. وسم، (استاذ تاريخ الكنيسة في معهد القديس بولس في حريصا)، كنيسة الروم الملكيين الكاثوليك، في كتاب: تاريخ الكنيسة، دار المشرق، ط٢ (بيروت، ١٩٩٧) ص ٧٢.

٢ - ليونا، مرجع سابق، ص ٢٣٠.

٣ - بنيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ٣٦٠ - ٣٦١.

٤ - ليونا، مرجع سابق، ص ٢٣٠.

٥ - بنيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ٣٦٠ - ٣٦١.

خلف أودو بطريركاً للكنيسة الكلدانية (١٨٧٨ - ١٨٩٤) مطران الجزيرة، إيليا بطرس عبو اليونان، المولود سنة ١٨٤٠، الذي انتخبه السينودس سنة ١٨٧٨ وأيدته روما سنة ١٨٧٩<sup>١</sup>. وقد ساد في عهده السلام في الكنيسة الكلدانية بفضل وداعته ومحبتة. ولولا تدخل البروتستانت لكان ضمّ إلى الكتلكة البطريرك النسطوري. وفي أيام بطريركيته أنشأ الآباء الدومينيكان سنة ١٨٨٢ مدرسة القديس يوحنا الإكليريكية في الموصل للكلدان والسريان، وقد تخرّج منها كثيرون امتازوا بعلمهم وفضيلتهم<sup>٢</sup>. وفي السنة ذاتها استأنف المعهد الكهنوتي البطريركي نشاطه بعد توقّفه منذ سنة ١٨٧٣ لأسباب طارئة. وتوفي البطريرك إيليا اليونان في ٢٧ حزيران (يونيو) ١٨٩٤ بحمى التيفوئيد<sup>٣</sup>.

خلف اليونان بانتخاب السينودس الكلداني في ٢٨ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٩٤ عبد يشوع الخامس خياط الذي نال التأييد في ٢٨ آذار (مارس) ١٨٩٥، وهو، كسلفه، من تلامذة كلية انتشار الإيمان، وكان ضليعاً باللغات والآداب السريانية، وقام بنشاط كبير في تنقيح وطبع الكثير من الكتب الطقسية في مطبعة الآباء الدومينيكان في الموصل. إلا أنّ عهده كان قصيراً إذ توفي في بغداد سنة ١٨٩٩، ليخلفه بانتخاب السينودس في ٩ تمّوز (يوليو) ١٩٠٠ البطريرك يوسف عمانوئيل الثاني توما (١٩٠٠ - ١٩٤٧) وأيدّه البابا لاون الثالث عشر في ١٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٠<sup>٤</sup>.

١ - ليونا، مرجع سابق، ص ٢٣٢.

٢ - بتم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ٣٦١.

٣ - ليونا، مرجع سابق، ص ٢٣٢.

٤ - ليونا، مرجع سابق، ص ٢٣٢.

وُلد عَمَانوئِيل في بلدة القوش من لواء الموصل في ٨ آب (أغسطس) ١٨٥٢،  
أُرسل منذ صغره إلى مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير قرب بيروت، وسيم كاهنًا  
في ١٠ تمّوز (يوليو) ١٨٧٩، وأضحى مدير المدرسة الإكليريكية البطريركية الكلدانية  
في الموصل. وفي ٢٤ تمّوز (يوليو) ١٨٩٢ قبل الرسامة الأسقفية على مدينة سعرت،  
فبنى فيها كنيسة جميلة<sup>١</sup>. وقد زخر عهد بطريركيته الطويل الذي دام ٤٧ سنة  
بالنشاطات والأعمال الجليلة. بنى خلالها عشرات الكنائس والمدارس، وجذب إلى  
الكنيسة الكاثوليكية عدّة أساقفة وكهنة وخلقًا كثيرًا من النساطرة، وكان الحبر الأعظم  
قد عيّنه بإنعام خاصّ قاصدًا رسولياً عليهم. وكان البطريرك يوسف عَمَانوئِيل الثاني  
توما كثير التعبد لمريم العذراء، وفي عهده طُبعت عشرات الكتب الكلدانية الطقسية  
والعلمية<sup>٢</sup>. وعاصر الحربين العالميتين وشاهد مآسي شعبه خلال الحرب الأولى حيث  
تعرّضت رعيته للمجازر والتشريد كما نكرنا آنفًا. وتلاشت أبرشيات عديدة في تركيا.  
وقد لاقى المهاجرون القادمون إلى العراق كلّ عون ومساعدة من أبيهم البطريرك  
الذي لم يتردّد حتّى في بيع أثاث الكنائس والأواني المقدّسة في سبيل إطعام الجائعين  
والنود عنهم بجميع الوسائل. وكانت له مواقف وطنية مشهود لها. ولمّا جاءت الحرب  
العالمية الثانية كان هذا البطريرك قد بلغ من العمر عتياً ووهنت قواه. ومع ذلك فقد  
بذل كلّ ما بوسعه لمساعدة الناس وللحفاظ على كيان الكنيسة التي كان لها خير  
ممثل لدى السلطات المحلية والأجنبية. إلى أن فاضت روحه في الموصل بتاريخ ٢١  
تمّوز (يوليو) ١٩٤٧<sup>٣</sup>.

١ - يتم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ٣٦٢.

٢ - يتم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ٣٦١.

٣ - أبرنا، مرجع سابق، ص ٢٣٢؛ يتم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ٣٦١.

خلف البطريرك عمانوئيل الثاني توما بطريركاً للكنيسة الكلدانية في السنة نفسها البطريرك يوسف السابع غنيمه (١٩٤٧ - ١٩٥٨) الذي كان من تلامذة معهد مار يوحنا الحبيب في الموصل. وهو وُلد في الموصل سنة ١٨٨١، ودرس في مدرسة الآباء الدومينيكان في المدينة نفسها قبل أن ينتقل إلى إكليريكية مار يوحنا الحبيب للآباء أنفسهم، قبل درجة الكهنوت في ١٥ أيار (مايو) ١٩٠٤، عيّنه البطريرك عمانوئيل الثاني مديراً للمدرسة الإكليريكية البطريركية في الموصل، وبقي فيها حتى سنة ١٩١٨، رُقي إلى وظيفة وكيل عام على الأبرشية البطريركية، ثم نال الدرجة الأسقفية سنة ١٩٢٥، عيّنه البطريرك عمانوئيل معاوناً له ١٩٢٥ - ١٩٤٧، انتخبه الحبر الأعظم مديراً رسولياً على كنيسة الكلدان سنة ١٩٤٧، انتخبه الأساقفة بطريركاً في ١٤ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٧. وقد اشتهر البطريرك يوسف السابع غنيمه بتقواه المثالية وعلمه الفياض وعبادته السامية لمريم العذراء. ورسم عدة أساقفة وعشرات الكهنة والشماسه، وفي عهده شُيّدت كنائس ومدارس عدة<sup>١</sup>. وكان ذا علم غزير وثقافة راقية، له مواقف خطابية شهيرة. وكان مثل سلفه عضواً في مجلس الأعيان العراقي. وهو الذي نقل كرسي البطريركية من الموصل إلى بغداد ليكون على صلة أوثق بسلطات البلاد في سبيل التضامن معها في بناء الوطن. وقد توفي في ٨ تمّوز (يوليو) ١٩٥٨، قبيل قيام الثورة العراقية التي أطاحت في ١٤ تمّوز (يوليو) ١٩٥٨ بالنظام الملكي، وأعلنت النظام الجمهوري في العراق<sup>٢</sup>.

وبالرغم من الظروف العسيرة في البلاد، فقد اجتمع السيودس الكلداني في خريف ١٩٥٨ وانتخب البطريرك بولس الثاني شيخو (١٩٥٨ - ١٩٨٩) الذي تمّ تنصيبه في

١ - يتم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ٣٦٢.

٢ - لبونا، مرجع سابق، ص ٢٢٢.

كاتون الأول (ديسمبر) من السنة ذاتها<sup>١</sup>. وهو الآخر من مواليد القوش من لواء الموصل عام ١٩٠٦، درس في إكليريكية الموصل وفي المعهد الشرقي بروما، ولما عاد إلى العراق عُيِّن مديرًا للإكليريكية البطريركية، وأصبح سنة ١٩٤٧ أول أسقف لأبرشية "عقرا" التي أعيد تجديدها، فاكسب فيها محبة الجميع، وانتُخب سنة ١٩٥٧ أسقفًا لمدينة حلب خلفًا للمطران يوسف نعمو الذي نُقل إلى بيروت إبان تقسيم أبرشية سورية ولبنان إلى قسمين، قبل أن يُعهد إليه المنصب البطريركي للكنيسة الكلدانية سنة ١٩٥٨<sup>٢</sup>. وقد اهتم هذا البطريرك ببناء العديد من الكنائس خاصة في بغداد التي توافد إليها أعداد كبيرة من أبناء الكنيسة المشرقية النازحين من المناطق الشمالية جرّاء ثورة الأكراد والاضطرابات الناجمة عنها. وقد اشتهر البطريرك شيخو بقداسة سيرته وبتجرّده وعطفه على الفقراء والمعوزين، إلى أن وافته المنية في ١٣ نيسان (إبريل) ١٩٨٩<sup>٣</sup>. فخلفه في السنة نفسها البطريرك الحالي مار روفائيل الأول بيداويد، الذي كان أسقفًا على بيروت. وانتخبه السينوبس بطريركًا في أيار (مايو) ١٩٨٩<sup>٤</sup>. وقد عكف بيداويد على تنظيم شؤون الكنيسة الكلدانية وإعطائها وهجًا جديدًا<sup>٥</sup>. وطبّق فيها القوانين الكنسية وعمل على إعادة النظر في بنائيتها وتنظيماتها في سبيل إصلاح شامل على ضوء مقرّرات المجمع الفاتيكاني الثاني<sup>٦</sup>.

١ - أبونا، مرجع سابق، ص ٢٢٢.

٢ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ٣٦٣.

٣ - أبونا، مرجع سابق، ص ٢٢٢؛ يتيم وديك، مرجع سابق، ص ٣٦٣.

٤ - يتيم وديك، مرجع سابق، ص ٣٦٣.

٥ - أبونا، مرجع سابق، ص ٢٢٢.

٦ - المجمع الفاتيكاني الثاني: مجمع مسكوني عُقد في روما ١٩٦٢ - ١٩٦٥، دعا إليه وفتحه يوحنا الثالث والشرور ولختمه بولس السادس، تخلّته أربع جلسات، درس أوضاع الكنيسة تجاه تحولات العصر وطرق تحديثها وإصلاحها ووضع توجيهات لتحقيق الوحدة المسيحية، حضره مراهبون من جميع الكنائس ومن العلمانيين.



## كنيسة الكلدان

### في العهود الأخيرة

قبل نهاية العثمانيين كان الكلدان، الذين يعتنقون اليوم حوالي نصف مليون نسمة أكثرهم في العراق، قد توزّعوا على أنحاء عدّة، فتبع بطريركيّتهم في بغداد تسع أبرشيات كبرى في العراق، وثلاث في إيران، وواحدة في تركيا، بعد أن ألغيت ثلاث إثر المذابح التي تعرّضوا لها خلال الحرب العالمية الأولى، وواحدة في حلب، وواحدة في مصر، إضافة إلى وجود كلدانيّ في الولايات المتّحدة الأميركيّة، وأستراليا، والسويد، وفرنسا، وروما، والقدس، ولبنان. وكان الكلدان قد أسسوا لهم رهبانيّة على اسم القديس هرمزد، جدّت سنة ١٨٠٨ على يد جبرائيل دنبو المارديني الذي ترهّب لدى الرهبان الأنطونيّين الموارنة في دير مار شعيّا في لبنان، ثمّ انتقل إلى العراق لبعث الحياة الرهبانيّة بين شباب الكنيسة الكلدانيّة. كما أسّس الكلدان لاحقاً رهبانيّتين للراهبات: راهبات القلب الأقدس (١٩١٥)، وراهبات الكلدان بنات مريم المحبّول بها بلاننس (١٩٣٢).

وكان لكنيسة المشرق مدارس خاصّة واصلت مسيرتها في مختلف العهود الأخيرة التي حكمت بلاد ما بين النهرين. وكانت هذه المدارس تتّبع مناهج الدولة، وتهتمّ بتعليم اللغة السريانيّة والدين المسيحيّ. إلّا أنّها أمّمت في سبعينات القرن العشرين في العراق. أمّا معهد شمعون الصفا الكهنوتيّ فقد استمرّ على تنقيف الإكليروس في الموصل أولاً، ثمّ نقل إلى منطقة الدورة (ميكانيك) في بغداد. وفي السنوات الأخيرة جرت محاولات تهدف إلى جعل هذا المعهد كليّة لاهوتيّة للعلوم الكنسيّة باسم كليّة بابل. وما تزال الجهود تُبذل في سبيل الحصول على موافقة السلطات الرسميّة من أجل تحقيق ذلك. ويتلقّى اليوم العلم في كليّة بابل الكنسيّة تلامذة المعهد الكهنوتيّ مع

فرقة صغيرة من أبناء الكنيسة الآشورية وعدد صغير من العلمانيين الذين يتهيئون للدرجات المقدسة أو للرسالة في الخورنات. كما أن كنيسة المشرق ترسل، بين وقت وآخر، بعضاً من أبنائها للتلاميذ أو الكهنة للتخصّص في جامعات الغرب، وخاصة في روما. أما ما تبقى من الأديار العديدة المنتشرة في ما بين النهرين فينحصر الآن في مؤسسة رهبانية رجالية واحدة هي تلك التي أنشأها الربان هرمزد في الدير المعروف باسمه بالقرب من القوش شمالي العراق. وهذه الرهبانية تواصل مسيرتها منذ للقرن السابع، بالرغم مما أصابها من النوائب خلال مسيرتها الطويلة عبر الأجيال. ولقد اضطرّ رهبانها مرّات كثيرة إلى ترك ديرهم تحت ضغوط الاضطرابات والاضطهادات ثم العودة إليه بعد مرور العاصفة. إلا أن الحياة الرهبانية كانت بأمرّ الحاجة إلى إصلاح يعيدها إلى أصالتها الروحية الحقيقية. وقد تمّ هذا الإصلاح عن يد الأنبا جبرائيل دنبو المارديني الذي أقبل إلى البلاد وتولّى إدارة الدير سنة ١٨٠٨، واستطاع، رغم الظروف العسيرة، أن ينعش الرهبانية الكلدانية ويعيد تنظيمها وأن ينال تثبيت قوانينها في روما. ولكنه استشهد سنة ١٨٣٢ مع ثلاثة من رهبانه في خلال موجة عنف هبّت من الجبال الشمالية، واستمرّت الرهبانية وازداد عدد المنضمين إليها، حتّى اضطرّوا إلى إنشاء دير آخر في سهل القوش أطلق عليه اسم "دير السيدة حافظة الزرع". وقد أصبح هذا الدير وما يزال مركز رئاسة الرهبانية الكلدانية. وفي سنة ١٨٦٢ اعتبر دير مار كوركيس القريب من الموصل ديراً قانونياً للرهبانية الكلدانية الأنطونية الهرمزدية. وفي سنة ١٩٦٩ سيّد دير آخر للكلدان في منطقة الدورة في بغداد، يضمّ المبتدئين والمسؤولين عن تثقيفهم وتقيفهم. وللرهبانية أيضاً دار في روما لاستقبال الرهبان الذين يقصدون عاصمة الكنايسة لغرض الدرس والتخصّص. وهناك ثلاثة أديرة أخرى في منطقة الموصل قد أعيد ترميمها على

دفعات متتالية، وهي: دير مار ميخائيل رفيق الملائكة، ودير مار إيليا الحيري أو دير سعيد القريبان من الموصل، ودير مار ابراهيم القريب من بلدة باطناي، إلا أن هذه الأخيرة الثلاثة الأخيرة خالية من الرهبان. وللكلدان أيضاً رهبانيتان للنساء هما: جمعية بنات مريم المحبول بها بلا دنس (راهبات الكلدان) وقد أسست سنة ١٩٣٣ ومركزها في بغداد، وتعمل راهباتها في حقلي التعليم والخدمة؛ وجمعية القلب الأقدس التي أسست سنة ١٩١٥ في أراذن التابعة لأبرشية العمادية، ونقلت إلى الموصل إثر الظروف الأخيرة التي حلت بالمنطقة الشمالية. ولهاتين الجمعيتين فروع في أماكن عديدة من البلاد، وبنات مريم الكلدانيات فروع أيضاً خارج البلاد، في روما وفي الولايات المتحدة الأميركية<sup>١</sup>.

قدم الكلدان إلى لبنان على دفعات ابتداءً من العام ١٨٩٥ هرباً من مذابح الأتراك والأكراد في بلاد ما بين النهرين، مروراً بالحرب العالمية الأولى، وصولاً إلى الحرب العالمية الثانية. وقد ذكر مؤرخون سريان أنه كان للكلدان في ماردين، ما عدا كنيسة هرمزد القديمة، كنائس في طيباتا، والقصور، وكفرتوث، وخراب ألما، ودارا، ونصيبين. ومطرانهم يرعى الكلدان الموجودين في نصيبين، ومديات، وكفرجوزه، وويران شهر، ويبلغ عددهم ألفاً وسبعمائة نسمة. وقد جرى لوجهاء هذه الطائفة العزيزة سنة ١٩١٥ من الأحداث الدموية ما جرى لغيرهم من النفي والقتل والخسائر. ومن أشرف العيال الكلدانية بماردين أسرة شوحا التي عرفت بغلوها في الدين الكاثوليكي وخسرت زهاء عشرة من رجالها الذين أُلقي القبض عليهم وعلى ثلاثين آخرين من وجهاء طائفتهم وزُجوا في السجن وسيقوا مع رجال الأرمن

---

١ - ليونا، مرجع سابق، ص ٢٣٦.

والسريان الكاثوليكيين وقُتلوا لثباتهم في دين أجدادهم. وهدمت الحكومة الناحية الجنوبية من الدار الأسقفية الكلدانية توسيعاً للجادة العمومية فأضر ذلك الكنيسة ضرراً فاحشاً<sup>١</sup>.

وإذ أصبح عدد الكلدان في لبنان قرابة العشرة آلاف نسمة، عيّنت روما مندباً رسولياً لهم سنة ١٩٣٨ ليرعى شؤونهم الدينية مع الكلدان في سورية والإسكندرونة. وفي سنة ١٩٥٧ أسست أول أبرشية للكلدان في لبنان، ومُنح أسقفها لقب مطران بيروت على الكلدان. وراح إكليريكيو هذه الكنيسة يتلقون علومهم مع الموارنة في إكليريكية غزير وجامعة الروح القدس الكسليك في لبنان<sup>٢</sup>.

أما اليوم، فمجموع عدد المطارنة والأساقفة الكلدان يبلغ خمسة عشر، بالإضافة إلى البطريرك. ويقوم نحو ١٢٠ كاهناً بخدمة جميع أبناء هذه الكنيسة في العراق وبلدان الانتشار، معظمهم من نوي الثقافة الجيدة، ومنهم من نوي الاختصاص في مختلف الحقول العلمية، الفلسفية واللاهوتية والتاريخية وسواها. وتتعدد النشاطات في الكنيسة الكلدانية وتختلف، فمنها الهادفة إلى تنقيف الإكليروس في المعهد الكهنوتي، وغيرها إلى تنقيف المؤمنين بشتى الوسائل كاللورات اللاهوتية والندوات والأخويات لمختلف الأعمار والدروس الدينية في المدارس الرسمية أو في الخورنات. وللكنيسة مجلة تصدر في بغداد باسم "بين النهرين" تنشر مقالات تراثية رصينة. ومجلات وصحف أخرى في مختلف بلدان الانتشار، ونشرات محلية على نطاق الأبرشيات أو الخورنات. وقد وفق بعض كهنة الكنيسة الكلدانية ومؤمنها إلى نشر نتائجهم الفكري،

---

١ - لرملة، القصارى في نكبات القصارى، ص ٣٥.

٢ - بدلويد، مرجع سليق، ص ١٨٧ - ١٨٨.

التراثي منه والأدبي. ويبلغ عدد الكلدان الكلي في العالم نحو ثلاثة ملايين نسمة، ولكن منهم نحو مليونين ونصف المليون في الهند (ملبار) وهم يخضعون لسلطة روما المباشرة<sup>١</sup>. أما الكلدان الذين يخضعون لسلطة بطريركية بابل الكلدانية التي مركزها بغداد فهم الآن نحو ٦٠٠ ألف نسمة، منهم أكثر من ٤٠٠ ألف في العراق، وأغلبهم يسكنون بغداد، وقد نزح العديد منهم إليها من المناطق الشمالية إثر الاضطرابات التي حدثت فيها. أما الباقون فيتوزعون على المدن والقرى العراقية الأخرى. وللكلدان جاليات عديدة خارج القطر العراقي، في البلدان العربية المجاورة وفي البلدان الأوروبية وأميركا وكندا وأستراليا وغيرها. ولقد بدأت هجرتهم إلى تلك البلدان منذ سنين طويلة واشتدّت حركة الهجرة في السنوات الأخيرة، حيث نزحت أعداد كبيرة منهم من بلاد ما بين النهرين وتوجّهت إلى أوروبا وأميركا. وغادر معظم كلدان تركيا بلادهم لاجئين خاصة إلى فرنسا وبلجيكا والسويد وألمانيا وغيرها من البلدان. وأكبر الجاليات الكلدانية المهاجرة اليوم هو في الولايات المتحدة الأميركية إذ يبلغ عددها أكثر من ٧٠ ألف نسمة<sup>٢</sup>.

بينما لخصّ باحثون محدثون في شؤون الكنائس الشرقية وضع الكنيسة الكلدانية اليوم بأن لها ١١ أبرشية: سبع في العراق، إثنين في إيران، واحدة في حلب - سورية، وواحدة في بيروت - لبنان؛ ولها نائب بطريركي في كل من القدس ومصر واسطنبول؛ ومقر الكرسيّ البطريركيّ بغداد؛ ولها الرهبانية الأنطونية ورهبانيتان نسائيتان: الحبل بلا دنس والكاترينات؛ ومدرستان إكليريكيّتان، الواحدة بإدارة الآباء

---

١ - راجع كنيسة السريان الملبار في الفصل التالي.

٢ - لبونا، مرجع سابق، ص ٢٣٤ - ٢٣٧.

الدومينيكان تحت حماية القديس يوحنا الحبيب، والثانية بإدارة البطريركية الكلدانية وكتاهما في الموصل. وفي طهران مدرسة إكليريكية صغيرة. ويربو عدد أبناء الطائفة على ٢٠٠ ألف نسمة<sup>١</sup>.

## كنيسة الشرق الآشورية في العهد الأخيرة

إختصر باحثون في شؤون الكنائس الشرقية مقامة التعريف بوضع كنيسة الشرق الآشورية المعاصرة بالقول إنَّ النساطرة الذين كانوا متمركزين في جبال كردستان شرقي تركيا (كوتشانس) منذ القرن السابع عشر، اضطروا في نهاية الحرب العالمية الأولى إلى ترك مناطقهم لتورطهم مع الروس ضدَّ الأتراك، فلاجأوا آخر الأمر إلى العراق ورُحِّل قسم منهم إلى منطقة الخابور الأعلى في الجزيرة - سوريا. وكانوا قد تخلصوا من اسمهم القديم "النساطرة" فأطلق عليهم اسم "الآشوريين" لتمييزوا عن الكدان الكاثوليك، واتَّخذوا مؤخرًا اسمًا رسميًا لكنيستهم هو "كنيسة الشرق الآشورية"<sup>٢</sup>.

ويمكننا، ببعض التوسّع، ملاحظة أنه بعدما انضمَّ قسم من الكنيسة السريانية المشرقية إلى الوحدة مع روما أواسط القرن السادس عشر، بزعامة البطريرك يوحنا سولاقا كما سبق التبيان، بقيت الفئة الأخرى تتأرجح بين الإقدام على الوحدة والإحجام عنها، تبعًا للضغوطات السياسية التي كانت تتعرّض لها من قِبَل الفئات الحاكمة،

---

١ - بتيه وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ٣٦٢.

٢ - بتيه وديك، مرجع سابق، ص ٣٦٤.

وأحياناً بسبب تشدد بعض أبناء هذه الكنيسة في عدم رغبتهم في التخلّي عن بعض معتقداتهم، أو التخلّي عن استقلالية كنيستهم والخضوع لبابا روما وكنيستها الجامعة. وكثيراً ما كانت أسباب الابتعاد عن الانضمام إلى الكنيسة الجامعة حالات سلطوية داخلية وتمسك ببعض التقاليد الموروثة. وقد وجدت هذه الفئة نفسها منعزلة في الجبال الشمالية، كما سبق وذكرنا، تعاني تعسف الأكراد خلال قرون طويلة، في حين أنّ الفئة التي اتّحدت مع الكنيسة الرومانية انتشرت انتشاراً واسعاً خاصة في سهل الموصل وفي وادي حجلة وعلى ضفاف بحيرة أورميا في أذربيجان وإيران. ومن المفارقات الغريبة أنّ خلفاء رائد الوحدة مع الكنيسة الرومانية، البطريرك يوحنا سولاقا، قد عادوا إلى مذهبهم القديم وانزوا في منطقة "تياري"، في حين انضمّ خلفاء منافسه النسطوري إلى الوحدة، وذلك تحت تأثير المرسلين الغربيين إلى دير بكر والموصل. وكان من الصعب على الفئة المعتصمة بالجبال أن تتخلّى عن مفاهيمها القومية المتشابكة بالاعتبارات الدينية، وبالتالي أن تتساهل في أمر تمزق صفوفها، خاصة وأنها محاطة بشعوب تتربّص الفرص للقضاء عليها، وهم تحديداً الترك والأكراد. وقد تجلّى ذلك التربّص من خلال المجازر التي أتينا على ذكرها آنفاً والتي ارتكبتها جيوش بدرخان في السنوات ١٨٤٣ - ١٨٤٧. وكان بطارقة "قوجانس" مع شعوبهم يعانون العزلة ويعتبرون الوحدة مع روما ضرورة تتيح لهم الحفاظ على حياتهم وكيانهم. وإذا بالبطريرك شمعون السابع عشر يقول للمحيطين به في نزاعه الأخير سنة ١٨٦١: "إذا اضطررتم، للحفاظ على أمتنا، إلى تغيير مذهبكم فأتحدوا مع الكاثوليك ولا مع البروتستانت". وقد تذكر خلفه شمعون الثامن عشر هذه النصيحة سنة ١٨٩١، فالتمس من الدومينيكان في الموصل أن يتوسّطوا له لدى الحبر الأعظم للحصول على مدارس ومساعدات مالية وحماية من قنصل فرنسا، أسوة ببقية الجماعات المسيحية. إلّا أنّ هذا

البطريرك قد تخلف عن اللقاء في العمادية بالبطريرك الكلدانيّ إيلياّ عبو اليونان سنة ١٨٩٢، خوفاً من المعارضة التي ثارت ضدّ هذه المبادرة الجريئة في رعيّته نفسها. لكنّ التحرك باتّجاه الوحدة قد استمرّ عند ابنيّ أخي البطريرك: إبراهيم أسقف هكاري وأخيه نمرود. وكانت هذه الحركة من القوة بحيث نرى البابا لاون الثالث عشر يعيّن بطريرك الكلدان عمّانويل الثاني توما "وكيلاً عنه في بتّ شؤون العائدين إلى الوحدة" الذين كان عددهم يربو على ٤٠ ألف نسمة. ولم يكن من السهل إيجاد أشخاص من المرسلين أو غيرهم ممّن لهم الكفاءة لرعاية هذه الأعداد الغفيرة من المؤمنين وتنقيفها. وفي تلك الغضون توفيّ البطريرك شمعون الثامن عشر سنة ١٩٠٣، في حين كان ابنا أخيه إبراهيم ونمرود يعقدان المفاوضات بشأن الوحدة في الموصل. فانتهز الحزب المناوئ للوحدة هذه المناسبة وعيّن، عوضاً عن إبراهيم، الوريث الشرعيّ، واحداً من أبناء عمّه، وهو بنيامين الذي أصبح شمعون التاسع عشر، وهو في التاسعة عشرة من عمره<sup>١</sup>. وينكر باحثون موثوقون أنّه كان للأموال والمداخلات والضغوطات البريطانية (البروتستانتية) والروسية (الأرثوذكسية) دور كبير في إيقاف عجلة الوحدة مع الكرسيّ الرومانيّ. لكنّ همّة المرسلين لم تقتّر، بل فتحوا لهم مراكز كثيرة انطلاقاً من مركزهم الرئيس في قرية "مار ياقو" القريبة من "دهوك" في "أشينا" قلب المنطقة النسطورية. وحينما اندلعت الحرب العالمية الأولى، تحزّب البطريرك شمعون التاسع عشر لروسيا، وقضى على نمرود وعلى عدد من أفراد أسرته، وقرّر إجلاء رعاياه إلى البلاد الفارسية، وبذلك عرض العديد من قراه للسلب والنهب من قبَل العشائر الكردية.

---

١ - نلاحظ هنا أنّ البطريكية كانت لا تزال في الكنيسة الأشورية خاضعة لنظام الوراثة الذي تحتكنا عنه في سياق البحث عشية نشوء الكنيسة الكلدانية.



وبعد مجازر سنة ١٩١٥، اجتاز الباقون من المسيحيين إلى أنريجان تحت حماية الروس. وفي سنة ١٩١٧ انسحب الروس تاركين المسيحيين تحت رحمة أعدائهم. وتمكّن قسم منهم من اللجوء إلى روسيا، في حين ذهب القسم الأكبر إلى منطقة ما بين النهرين المحتلة من قبل الإنكليز. فوصل نحو ٦٠ ألفاً منهم إلى "يعقوبة" حيث وُضعوا في مخيم أقيم لهم. وقد اغتيل البطريرك شمعون التاسع عشر في البلاد الفارسية، فأقاموا خلفاً له أخاه بولس الذي كان عمره ٢٤ سنة، فاتّخذ لنفسه اسم شمعون العشرين. وانتقل إلى الموصل في الوقت الذي كانت فيه معاهدة سايكس - بيكو في طريقها إلى التنفيذ، وأظهر ميله إلى الانضمام إلى الوحدة مع روما. وحينما نُفذت المعاهدة المذكورة وشملت منطقة الموصل، أقصي البطريرك عن المدينة، ومات بعد ذلك في مخيم "يعقوبة" سنة ١٩٢٠ بداء السل. فخلفه "إشاي" باسم شمعون الحادي والعشرين<sup>١</sup>، وهو صبي في الثالثة عشرة من عمره. وأُرسل إلى إنكلترا للدراسة، وبقيت إدارة شؤون الكنيسة في أيدي والده وخاصة عمّه "سورما خانم" أخت البطريركين بنيامين وبولس. ولدى عودة البطريرك الشاب إلى الموصل سنة ١٩٢٧، وكان قد بلغ العشرين من عمره، اعترفت به الحكومة العراقية رئيساً للنساطرة الباقين في العراق والموجودين في روسيا والهند. ومنذ القرن التاسع عشر دخلت المناطق التي يسكنها النساطرة إرساليات بروتستانتية قادمة من إنكلترا وأميركا. وكان لها تأثير كبير في أبناء الكنيسة النسطورية الذين كانوا غالباً ما يعانون الفقر والجهل، بالإضافة إلى ما كانوا يتعرّضون له من مضايقات على أيدي جيرانهم الأكراد والأتراك. وقد

١ - ورد في مراجع أخرى باسم شمعون الثالث والعشرين، وأنه لُقّب عام ١٨٢٠ وعمره ١٢ سنة. - يقيم وديك، مرجع سابق،

انضمَّ عدد من أفراد هذه الكنيسة إلى مذاهب هؤلاء المرسلين، ما خلق المزيد من الفوضى والارتباك والتشرذم في تلك الكنيسة. وعجزت سياسة البطريرك الضعيفة عن توحيد كلمة رعاياه. ولمّا أظهر ميله إلى الأنكليكان، نشبت معارضة قويّة داخل إكليروسه، فانضمَّ بعضهم إلى طيموثاوس أسقف ملبار، والتفّ آخرون حول القسّ يوسف الذي أنشأ في الموصل مدرسة معارضة للمدرسة التي أقامها فيها البطريرك وسلم يوسف مدرسته إلى إدارة المرسلين البروتستانت<sup>١</sup>.

في خضمّ تلك الفوضى، ظهرت في صفوف الأشوريين سنة ١٩٣٣ إنتفاضة تهدف إلى إقامة نوع من الحكم الذاتي. وحاولت قواتهم المسلّحة الانضمام إلى إخوتهم في سورية التي كانت يومذاك تحت الانتداب الفرنسي. وقد قضت مصالح الدول الكبرى بإحباط تلك الإنتفاضة التي جنّد العراق كلّ طاقاته للقضاء عليها. وبعد معارك ضارية دارت بين الثوّار ورجال الحكومة العراقيّة، استطاع الجيش العراقيّ القضاء على الثورة، فقتل أعداداً كبيرة من مسلّحيها، ثمّ لاحق قلوبها في الجبال والقرى حيث لقي الكثير من النساء والأطفال حتفهم، وتُمرّت قراهم وأحرقت محاصيلهم. ثمّ أبعد البطريرك شمعون إيشاي إلى قبرص أولاً، ومنها إلى لندن حيث مكث مدّة طويلة<sup>٢</sup>. وفي سنة ١٩٤٢، بينما كانت الحرب العالميّة الثانية على أشدها، غادر البطريرك لندن إلى الولايات المتّحدة الأميركيّة، واستقرّ في ولاية سان فرانسيسكو إلى أن اغتيل سنة ١٩٧٥ لأسباب دينيّة وقبليّة كما سيأتي. ولم تمرّ السنوات الأخيرة من حياة

---

١ - ليونا، مرجع سابق، ص ٢٣٧ - ٢٣٩.

٢ - ليونا، مرجع سابق، ص ٢٣٩ - ١٧٤٠ ذكر يتمّ وديك، مرجع سابق، ص ٣٦٤ أنه: لما عاد شمعون إيشاي من لندن إلى الشرق لم ينضمّ مع إكليروسه وشعبه، ولجأته الحكومة العراقيّة الملكيّة عام ١٩٣٣، فلجأ إلى قبرص.

البطريرك شمعون إيشاي بغير صعوبات<sup>١</sup>، وكان قد اشترك في مؤتمر نيودلهي لمجلس الكنائس العالمي عام ١٩٦١، وفي طريق عودته زار بعض مناطق الشرق لتفقد رعيته، وأقام أسقفًا في طهران سنة ١٩٦٢ إذ كان الكرسي شاغراً منذ الحرب العالمية الأولى. فقد ظهرت أزمة جديدة داخل كنيسته سنة ١٩٦٤ إثر القرار الذي اتخذته هذا البطريرك والقاضي ببعض الإصلاحات الطقسية، وبإدخال الحساب الغربي في الأعياد الثابتة وفي حساب عيد الفصح<sup>٢</sup>، متخليًا بذلك عن التقويم اليولياني القديم ومتبنيًا التقويم الغريغوري، تمثيًا مع معظم الكنائس في العالم، كما شملت الإصلاحات تقليص الصلوات الطقسية وتخفيف الأصوام التقليدية الكثيرة الصارمة. فقاومته فئة من كنيسته، واستقدمت المطران "توما درمو" من الهند إلى بغداد. وبعد أن رسم ثلاثة أساقفة، اجتمع معهم في بغداد سنة ١٩٦٨ واختاروه بطريركًا للمعارضين، وقرروا عزل البطريرك شمعون إيشاي. ويرأس هذه الفئة الآن منذ ١٩٤٢ مار أداي<sup>٣</sup>. إلا أن البطريرك شمعون إيشاي قد استمر على رأس كنيسته، وزار العراق سنة ١٩٧١ واستعاد جنسيته العراقية<sup>٤</sup>، ولكنه استقال عام ١٩٧٣ بعد نشوب أزمة حادة في كنيسته. ثم عاد عن استقالته لما أحاله السينودس إلى الحالة العلمانية<sup>٥</sup>. وحينما صمم على الزواج سنة ١٩٧٤، أثار بذلك استياء عميقًا في نفوس أبناء كنيسته أدى إلى اغتياله سنة ١٩٧٥. وقد وضع موته حدًا للبطريركية الوراثة في الكنيسة الشرقية

١ - لبونا، مرجع سابق، ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

٢ - يثيم وديك، مرجع سابق، ص ٣٦٤.

٣ - لمرجع السابق.

٤ - لبونا، مرجع سابق، ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

٥ - يثيم وديك، مرجع سابق، ص ٣٦٤.

الآشورية، بعد أن استمرّ فيها هذا القانون طوال قرون عديدة<sup>١</sup>. إلاّ أنّه قبل وفاته، كانت الكنيسة الشرقية قد انقسمت إلى كنيستين، إحداهما محافظة مقرّها في بغداد مع بعض الأساقفة والكهنة، والثانية إصلاحية يرئسها بطريرك يقيم في شيكاغو الولايات المتحدة الأميركية، حيث لجأ بضعة آلاف من الآشوريين، وبمساعده أساقفة منتشرون في عدة بلدان، علماً بأنّ قسماً من الآشوريين في العراق يتبع بطريرك شيكاغو رغم وجود بطريرك آشوري في بغداد<sup>٢</sup>. وما يزال البطريركان يتقاسمان السلطة على الكنيسة الشرقية النسطورية.

ذلك أنّه بعد اغتيال البطريرك شمعون إيشاي سنة ١٩٧٥، اجتمع سينودس الأساقفة في لندن عام ١٩٧٦ وانتخب مار دنحأ، أسقف طهران، بطريركاً على رأس "الكنيسة الشرقية الآشورية". ولم يكن دنحأ ينتمي إلى أسرة البطريرك الراحل ولم يأخذ اسم شمعون فسُمّي مار دنحأ الرابع. ولم يتمكّن من الإقامة في العراق حيث كان منافسه مار إداي، فبقي في طهران<sup>٣</sup>، ويقول باحثون معاصرون آخرون أنّه قد جعل مركز بطريركيته، الموقّت على الأقلّ، في شيكاغو، أمّا مقرّه الرسميّ ففي بغداد<sup>٤</sup>. وهو يحاول أن يوحد شعبه المنتشر في العراق وإيران وسورية وجنوب الهند وبلاد الإغتراب، وأن يفتح كنيسته على سائر الكنائس. وقد اشترك في حفلة تنصيب البابا يوحنا بولس الثاني وزار رسمياً روما من ٧ إلى ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٤<sup>٥</sup>.

---

١ - ليونا، مرجع سابق، ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

٢ - KOCHASSARLY KHALIL, *EVENTAIL DES ÉGLISES D'ORIENT*, PP. 23-24.

٣ - يتيم وديك، مرجع سابق، ص ٣٦٤.

٤ - ليونا، مرجع سابق، ص ٢٤٠.

٥ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، مرجع سابق، ص ٣٦٤.

ويتبع هذه الكنيسة اليوم عشر أبرشيات، منها، إضافة إلى العراق، في كلٍّ من سوريا وإيران ولبنان وأوروبا وكندا وأستراليا والهند وأبرشيتان في الولايات المتحدة الأميركية، وعدد أساقفة هذه الكنيسة ثمانية بالإضافة إلى البطريرك، ويبلغ عدد كهنتها نحو ٦٧ كاهناً في مختلف الأقطار، أما عدد أتباعها فلا يتجاوز اليوم ٤٠٠ ألف نسمة بحسب بعض الباحثين<sup>١</sup>. بينما ذكرت دراسات أن عدد الأسوريين النساطرة، المقيمين في البلدان العربية اليوم، يبلغ نحو ٧٥ ألف نسمة، أكثرهم في سوريا ولبنان والعراق<sup>٢</sup>. ولهذه الكنيسة نشاطات كثيرة، فقد افتتحت مدرسة لتتقيف الكهنة في بغداد، ولها مطبعة حديثة لطبع الكتب الدينية والطقسية وغيرها، ومكتبة عامرة تضم مطبوعات كثيرة ونحو ١٥٠ ألف مخطوطة. كما أن لها جمعيات خيرية ولجاناً للشباب، وتقوم بمختلف النشاطات التنقيفية للمؤمنين، بالإضافة إلى إصدارها مجلة "صوت من الشرق" في شيكاغو. واستطاع مار دنح الرابع، مع عدد من أساقفته، القيام بزيارة أبناء كنيسته في روسيا حيث تفقد أحوال رعيته وأطلع على تنظيم كنيسته، وبهذه المناسبة طلب من أبناء كنيسته في روسيا أن يرسلوا بعضاً من شبابهم لكي يتلقوا العلوم الدينية الكنسية في الدير الكهنوتي ببغداد. ولهذه الكنيسة علاقات أخوية مع الكنيسة الكلدانية لالتزامها بالطقوس والأعياد والعادات المشتركة.

أما الفئة المعارضة، أو المحافظة، التي أطلقت على نفسها اسم "الكنيسة الشرقية القديمة"، فقد اختارت هي الأخرى، بعد وفاة البطريرك توما دومو الذي كان قد

١ - لبونا، مرجع سبق، ص ٢٤٠، وقد لورد هنا الحاشية التالية: لقد استقيت هذه المعلومات من فرعي هذه الكنيسة، وخاصة من القس إيشو القس عوديشو الذي لشكر لطفه، ومن الظاهر أن في هذه المعلومات شيئاً من المبالغة.

٢ - إبراهيم د. سعد الدين، المجتمع والدولة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت، ١٩٨٨)؛ السمك محمد، الأكلات بين المروية والإسلام، دار العلم للملايين (بيروت، ١٩٩٠) ص ٢٤.

انتُخب في بغداد بحياة البطريرك شمعون إيشاي، مار إداي الثاني كيوركيس بطريركاً لها سنة ١٩٧١، وبقي مقرّه الرسمي في بغداد. ولهذه الكنيسة اليوم ستّ أبرشيّات: الأبرشيّة البطريركيّة، والتّأميم والموصل والحسكة السوريّة والولايات المتّحدة الأميركيّة وملبار التي لها مطران وأسقف<sup>١</sup>. ومن أتباع هذه الكنيسة عدد منتشر في أستراليا ونيوزيلندة وغيرهما من البلدان الشرقيّة والغربيّة. ولا يتجاوز عدد المنتمين لهذه الكنيسة اليوم ٢٠٠ ألف نسمة، وعدد كهنتها نحو ٤٢ كاهناً<sup>٢</sup>. ولهذه الكنيسة نشاطات خاصّة في الهند حيث يقوم المطران والأسقف الهنديّان بتنقيف كهنتها ويديران مطبعة ويصدران مجلّة هناك<sup>٣</sup>.

---

١ - راجع كنيسة الملبار في الفصل التالي.

٢ - أبونا، مرجع سابق، ص ٢٤٠ - ٢٤١، وقد لورد هنا الحاشية التالية: بحسب المعلومات التي وردتني من مقرّ بطريركيّة هذه الكنيسة، وفيها أيضاً شيء من المبالغة إذ قد لا يتعدّى عدد المنتمين إليها ٥٠ ألف نسمة؛ المطران يتييم والإرشمندريت ديك، في تاريخ الكنيسة الشرقيّة، ص ٣٦٣ قد ذكرا أنّ العدد يربو على ٢٠٠ ألف.

٣ - أبونا، مرجع سابق، ص ٢٤١، الذي لورد في نهاية بحثه نداء إلى أبناء الكنيسة المشرقيّة المبريقيّة جاء فيه: لا يسعنا إلا أن نهيب بأبناء هذه الكنيسة مهما اختلفت وتباينت نزعاتهم الدينيّة أو القوميّة أن يتذكّروا أمجاد أبائهم القدّامى ويحاولوا توحيد صفوفهم وتوجيه جهودهم ليجتهدوا كنيستهم على مستوى مسؤوليّتها الجسميّة للتّعليم برسالتها في عالم اليوم، فتكون شاهدة أصيلة للقيم السّماويّة والثقافة العالية والأخلاق الرّسنيّة، لكي يرى جميع النّاس أعمالهم الصّالحة ومحبتهم الأخويّة وتعاونهم البناء، فيمجّدوا لأبام السماويّين.

## الفصل الخامس

# الكنايس الهندية

كنايس الملايو والمالينكار الهندية.





# كنائس الملابار والمالينكار الهندية

يُعتبرُ قسم من كنيسة المالابار أو المَلَبَار MALABAR الموجودة في جنوب غرب الهند، جزءًا من الكنيسة الكلدانية، لا بل الجزء الأكبر منها. ويعتبر أبناء هذه الكنيسة أنها ترقى إلى الرسول القديس توما. وجاء لمؤرخ وباحث في التاريخ السرياني، هو الأب "جان موريس فييه الدومينيكاني"، أن التقليد المحلي يقول بأنه حوالي سنة ٣٤٥ افتقر "مسيحيو مار توما" إلى رجال دين فاتصلوا بجثليق المشرق الذي أرسل إليهم "توما قناية" التاجر يرافقه ٧٢ أسرة، وأربعة كهنة، وشمامسة، ومطران هو يوسف الرهالوي. ويستدرك الباحث بإيراد أنه في التاريخ المذكور نظر، إذ كان آنذاك اضطهاد شابور الثاني قائمًا على قدم وساق<sup>١</sup>. ويضيف أن هناك تقليد آخر يقول بأنه تم، حوالي التاريخ عينه، إنتقال شخص يُعرف بـ"ثاوفيل الهندي" من الجزيرة العربية إلى الهند، إلا أنه تجدر الملاحظة هنا أن كلمة "الهند" قد تعني، في تلك الحقبة، مناطق قريبة من بلاد العرب. وكذلك الأمر بالنسبة إلى "الهند" التي بشرها، بين ٣١٠ و ٣٤١ المطران "داود الفرائميشاني" المعروف بـ"داود البصري"<sup>٢</sup>.

---

١ - شليور لثقي: ملك فارس ٣١٠ - ٢٧٩، بن هرمزد الثاني، لقب بذي الاكتاف، قرّر نصر الأستا ٣٢٥، اضطهد المسيحيين وحارب البيزنط.

٢ - فييه الأب جان موريس الدومينيكاني، كنيسة السريان الملابار، في كتاب: دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، دار المشرق (بيروت، ١٩٩٧) ٢: ٧٤٣.

وينكر الباحث أنه بالنسبة إلى العلاقات بين كنيسة مار ماري<sup>١</sup> والهند، فإنه لم يوثق على ذكرها قبل القرن السادس، إذ روى الرحالة "إنيكولوستيس" أنه كان آنذاك في الملابار<sup>٢</sup> "أسقف رسم في بلاد فارس"، وكان كرسيه تابعاً لمطرانية تلك البلاد، وظلّ لاحقاً بها حتى القرن الثامن، حيث أصبح كرسيًا لمطرانية مستقلة. وظلت العلاقات بين ذلك الكرسي ومركز الجليلق مستمرة على شيء من الانتظام حتى القرن السادس عشر. ولم يتم الانفصال إلا على يد البرتغاليين بعد أن حلّوا في الملابار سنة ١٤٩٨ واتصلوا بالسريان الشرقيين، فظلّ بعضهم نسطوريًا وصار بعضهم الآخر كلدانيًا كاثوليكيًا بحسب بعض المراجع<sup>٣</sup>. بينما يذكر آخرون<sup>٤</sup> أن بعضهم قد انضم إلى المونوفيزية وغيرهم إلى اللاتينية. ويذكر هذا المصدر الأخير نفسه أنه في مطلع القرن السادس عشر، جاء إلى العراق أسقف كلداني من الهند اسمه توما، وقمّ التماسًا إلى البطريرك إيليا الخامس (١٥٠٢ - ١٥٠٤) يطلب منه أن يرسم أساقفة للهند، فرسم لهم ثلاثة أساقفة وأرسلهم إلى هناك<sup>٥</sup>. وفي سنة ١٥٩٥ شكّ البابا اقليمندس الثامن بصحة عقيدة المطران ابراهيم، فرأى أنه لا يمكن تفويض رعاية مسيحيي القديس توما إلا لمطران يعيّنهما البابا، وأعطى في هذا الصدد كامل الصلاحيات لرئيس أساقفة "غوا" اللاتيني. وبعد سنوات معدودة، وتحديدًا في العام ١٥٩٩، التأم "ليابر"<sup>٦</sup> برئاسة

١ - مار ماري: رسول قنيس عاش في القرن الأول ويتر في الشرق، يُنسب إليه تأسيس مدرسة "دير قني" في بلاد ما بين النهرين.

٢ - ملبار وملابار MALABAR: الساحل الجنوبي الغربي للهند، يمتد من جوا إلى الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة عند رأس كورين.

٣ - فيه، كنيسة السريان الملبار، مرجع سابق، ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

٤ - ليونا، مرجع سابق، ص ٢٢٤.

٥ - ليونا، المرجع السابق.

٦ - لعل المقصود "مجمع كهنة".

المطران المذكور وثبتت اللتنة على سائر الأصعدة إن في السلوك والقوانين أو في الطقوس. وعندما طالب كلدان ملبار البطريرك يوسف أودو (١٨٤٨ - ١٨٧٨)<sup>١</sup> بإلحاقهم بالطريكية البابلية وبتعيين رؤساء لهم من طقسهم، دارت مفاوضات عسيرة أدت إلى خلافات طويلة إلى أن جاءت مبادرات جريئة من قِبَل البطريرك في شأن رسامة أساقفة لا ترضى بهم روما. فقامت إثر ذلك أزمة نتج عنها فئة جديدة في كنيسة الملبار ارتبطت بالأسقف "ملّوس" الذي عينه أودو، ثم أعلنت هذه الفئة خضوعها للبطريرك النسطوري سنة ١٩٠٧، وما لبثت أن انقسمت هي على نفسها. وكانت قد جرت، في أواخر القرن التاسع عشر، محاولة لربط كنيسة الملبار بالطريكية الكلدانية، بيد أن روما أوقفها وقررت إلحاق مسيحيي القديس توما بها مباشرة<sup>٢</sup>. ونشأ من هؤلاء سنة ١٩٣٠ فرع حمل اسم "المالكناريين". وكما ذكرنا سابقاً تحت عنوان الكنيسة الكلدانية، فقد جاء في بعض الدراسات أن عدد أبناء كنيسة الملبار في الهند التابعين اليوم لروما مباشرة هو بحدود مليونين ونصف المليون<sup>٣</sup>. بينما ذكر باحثون آخرون أن عدد أبناء هذه الكنيسة اليوم هو زهاء مليون ونصف المليون نسمة، يستعملون في الصلوات الطقسية اللغة الهندية بدلاً من السريانية<sup>٤</sup>. وذكرت دراسات أخرى أن عدد الكلدان الكاثوليك، المقيمين في البلدان العربية، يبلغ اليوم نحو مائتي ألف نسمة، أكثرهم في العراق وسورية ولبنان، واعتبرت أن لهذه الكنيسة حيوية ملحوظة، وقد عقدت عليها آمال كبيرة لتبشير الهنود بالمسيحية<sup>٥</sup>.

١ - بطريرك كلداني انفصل زمناً عن روما ثم عاد وخضع لها؛ راجع ما جاء عنه تحت عنوان الكنيسة الكلدانية.

٢ - فييه، كنيسة السريان الملبار، مرجع سابق، ص ٢٤٢ - ٢٤٤.

٣ - لبونا، مرجع سابق، ص ٢٣٤ - ٢٣٧.

٤ - يتيك وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص ٣٦٣.

٥ - إبراهيم د. سعد الدين، المجتمع والدولة في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت، ١٩٨٨)؛ لسمك محمد،

الأكثليّات بين المروية والإسلام، دار العلم للملايين (بيروت، ١٩٩٠) ص ٢٤.



# الكنائسُ الشرقيَّةُ والمجمعُ الفاتيكانيُّ الثاني

الكنائسُ الشرقيَّةُ والمجمعُ الفاتيكانيُّ الثاني؛

مُعَاوَنَةً فِي الشَّرْقِ وَمِنْ الْغَرْبِ؛

فِي الْمَجْمَعِ الْفَتِيكَانِيِّ الثَّانِي وَبَعْدَهُ؛

الْكَنَائِسُ الشَّرْقِيَّةُ وَالْحَرَكَةُ الْمَسْكُونِيَّةُ.



# الكنائسُ الشرقيَّةُ والمجمعُ الفاتيكانيُّ الثاني

رأى الشرقيُّون الكاثوليك في المجمع الفاتيكاني الثاني الذي عُقد من سنة ١٩٦٣ إلى سنة ١٩٦٥، بموضوع "التجديد في العالم المسيحي"، ليس فقط فرصة سانحة لإعادة النظر في وضعهم، ضمن الشركة الكاثوليكية، بل أيضاً وبشكل أخص، مناسبة مؤاتية لعرض التراث الشرقي العريق، بغية تحديد اللاهوت الكاثوليكي وحياة الكنيسة، بعودتها إلى الينابيع، ممّا يمهد السبيل لإعادة الشركة بين الكتلّة ومجمل الشرق المسيحي.

## مُعَانَاةٌ فِي الشَّرْقِ وَمِنْ الْغَرْبِ

عانى الشرقيُّون الكاثوليك المتاعب الكثيرة بسبب انتسابهم إلى الكتلّة، في خلال العهد العثماني. فسعت دولتا فرنسا والنمسا لدى الباب العالي في أمر إعتاق الكنائس الكاثوليكية من تبعة الكنائس الأرثوذكسية، والاعتراف بها ككنائس مستقلة. فتحقّق

---

١ - ولقّع المجمع في الجزء العاشر من هذه الموسوعة.

لجميعها ذلك سنة ١٨٣٠ من خلال المعاهدات التي أعقبت حرب اليونان، وأصبح لها ممثل واحد لدى الحكومة العثمانية، وهو كاهن أرمني اتخذ لقب "بطريرك"، وأضحى البطاركة الكاثوليك نواباً له. فكانت تلك المرحلة الأولى لاستقلال الكنائس الشرقية الكاثوليكية. أما المرحلة الثانية، وهي اعتراف الباب العالي برئاسة واستقلال كل من البطاركة على طائفته، فقد حدثت في مناسبات مختلفة. واتفق أن دخل إبراهيم باشا المصري إلى سورية سنة ١٨٣١، فتحسنت أحوال الكنائس الكاثوليكية، وتمكن البطاركة والأساقفة من مغادرة ملجئهم في لبنان، والعودة إلى أبرشياتهم، لا سيما في دمشق وحلب، كما استطاعوا تشييد الكنائس والكاتدرائيات. وعاد الآباء اليسوعيون إلى الشرق، كما أقيمت آنذاك البعثات التبشيرية الأميركية والبريطانية والروسية، فانتعشت الكنائس الكاثوليكية وازدهرت<sup>١</sup>.

كانت الدولة العثمانية تعامل المسيحيين، كما يفرض عليها الشرع الإسلامي، معاملة أهل الذمة. فلم تتدخل قط في شؤونهم الداخلية، وتركزت لهم الحرية التامة في أمور دينهم وكنائسهم وأنظمتهم الخاصة. وفي أواسط القرن التاسع عشر، أخذت الدولة تعتبرهم، تدريجياً، كمواطنين عاديين، وأصدرت سلسلة من الإصلاحات الملقبة "بالتنظيمات"، رمت الدولة العثمانية، من خلالها، إلى اللحاق بالدول الغربية في مضمار التشريع والتعليم واستعمال الاختراعات والاكتشافات والعلوم العصرية. وكان أول تلك الإصلاحات، مرسوم "قولخانه" الذي صدر بتاريخ ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٣٩، وهو المعروف بالخط الشريف، وقد أصدره السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ - ١٨٦١) عندما تسلم زمام الحكم ونادى فيه بالمساواة بين جميع المواطنين، مسلمين كانوا أم

---

١ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، مرجع سابق، ص ٢٩٤.



غير مسلمين. ثم أصدر مرسومًا آخر، جليل الأهمية، يُعرف بالخط الهمايوني، بتاريخ ١٨ شباط (فبراير) ١٨٥٦، لا تزال بعض موادّ سارية المفعول إلى اليوم، أكّد فيه السلطان، من جديد، على المساواة بين جميع المواطنين، واحترام عقيدة "النصارى" وشعورهم الديني، وحقوق البطارقة وامتيازاتهم. وبدأت الحكومة العثمانية آنذاك تهتمّ بشؤون الكنائس الداخلية، فوضعت لها قوانين منحت العلمانيين بموجبها دورًا هامًا في إدارة الملة إلى جانب سلطة البطريرك، وقد أدّى تدخل العلمانيين في الشؤون الملية إلى تحقيق بعض الإصلاحات، ولكنّه أثار أيضًا مشاكل كثيرة. وفي ٧ أيار (مايو) ١٨٥٥ أعفي "النصارى" من دفع الخراج والجزية، وكانوا يدفعونها منذ الفتح الإسلامي، وتقرّرت مبدئيًا إمكانية قبولهم في الجيش، ولم تحظْ هذه القرارات برضى الجميع، فاكثفت القيادة العثمانية بقبول نقد البدل. ولما تسلم الحكم حزبُ تركيا الفتاة بعد إعلان الدستور في ٢٤ تمّوز (يوليو) ١٩٠٨، وعزل السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٩، ألغي البدل، ودُعي "النصارى" إلى خدمة العلم. ثمّ تصلّبت الحكومة تجاه "النصارى" وقامت بدعوة "النتريك"، التي ناهضت بها جميع العناصر غير التركية، وخصوصًا الأرمن واليونانيين، وكانوا أكثرّيّات كثيفة في بعض مناطق الأناضول. ثمّ تسوّت قضيتهم، فهجّر كثير من الأرمن الأراضي التركية، وقامت اليونان وتركيا بعملية تبادل السكّان، فانتقل اليونانيون إلى بلاد اليونان. وتحسّنت أوضاع المسيحيّين، قبيل الحرب العالمية الأولى وبعدها، في لبنان ومصر أولًا، ثمّ في باقي البلاد العربيّة. وإذ شعروا بأنهم مواطنون كسائر السكّان، ساهموا في رقيّ البلاد وبلوغ استقلالها الكامل، فشيّدوا مئات المدارس على مختلف درجاتها، وجلبوا المطابع ونشروا كبريات الصحف والمجلّات، وعكفوا على الكتابة والتأليف، وانتسبوا إلى الجمعيات الوطنيّة لمقاومة العثمانيين، ودخلوا الأحزاب، وانضمّوا إلى صفوف الجيش، وتسلموا الوظائف العالية

في الدول العربية المستقلة، فكان من بينهم الوزراء والقادة والزعماء والأدباء. واختلط المسيحيون عامةً بمواطنيهم المسلمين في جميع ميادين الحياة الفكرية والتجارية والصناعية والقومية، فعملوا بيد واحدة على تحرير البلاد العربية ودعم استقلالها ورفع مستوى الحياة فيها، وتهتمت الفوارق الدينية المصطنعة، وتسأوى الجميع أمام القانون. ولم ينسَ المغتربون المسيحيون أوطانهم العربية، بل جلبوا إليها الأموال الطائلة، وأسسوا فيها الشركات المتنوعة، وكانوا صلة الوصل بين الشرق العربي ومختلف أقطار الدنيا<sup>١</sup>.

على صعيد آخر، لم تنتكّر الكنائس الشرقية التي أتحدت بكنيسة روما، من ماضيها، إلا لما كان مخالفاً للمعتقد الكاثوليكي. فهي لم تنتكّر لتقاليدها وطقوسها وشرائعها وتعاليمها الروحية. وقد تمّ الاتحاد وفق قرارات مجمع فلورنسا سنة ١٤٣٩، الذي اعترف بشخصية الطوائف الشرقية، وأقرّ حقوق بطاركتها وامتيازاتهم. وجند هذه المقررات البابا بنديكتوس الرابع عشر في رسالته الخاصة بالملكيتين، سنة ١٧٤٣، عبر رسالته "لما قلّد الربّ حقارتنا DEMANDATAM" التي منع بها الشرقيين من انتحال الطقس اللاتيني. غير أنّ المحافظة على التوازن بين الحقوق الشرقية القديمة ومتطلبات القوى المركزية في روما، كان أمراً شاقاً أثار في الكنيسة بعض المتاعب. فقد تربّى العديد من رجال الإكليروس الشرقي الكاثوليكي تربية غربية، ولم يفهم بعض الرهبان المرسلين أهمية التراث الشرقي العريق، وقام، حتّى في الدوائر الرومانية، تيّاران متناقضان، الواحد يحترم تقاليد الشرق ويدافع عنها، والآخر يحاول دمج الكنائس الشرقية تدريجياً بالنظام الغربي العام. وقد انتصر التيار المركزي أحياناً،

---

١ - يتم وديك، مرجع سابق، ص ٢٩٥ - ٢٩٦.

فاقتبست الكنيسة الشرقية الكثير من عادات الكنيسة الغربية، كما حدث في الهند والحبشة. وفي عهد البابا بيوس التاسع (١٨٤٦ - ١٨٧٨)، قويت في روما النزعة المركزية الخاصة بإدارة الكنيسة. فقد أصدر سنة ١٨٦٧ مرسوماً بمناسبة ارتقاء المطران أنطونيوس حسون إلى السدة البطريركية الأرمنية، يحصر فيه انتخاب البطريرك والأساقفة في يدي البابا نفسه. وطُبق هذا المرسوم فعلاً في السنة التالية على الكلدان. ونتج عن تطبيقه اضطرابات عنيفة في الأوساط الشعبية، لم تنته إلا باستقالة البطريركين، وبعض التنازل من قِبل البابا. وكان البابا ينوي تطبيق المرسوم على سائر الكنائس الشرقية الكاثوليكية لولا أن تدخل في الأمر بطريركا الروم الكاثوليك والموارنة. وفي المجمع الفاتيكاني الأول (١٨٦٩ - ١٨٧٠) أبدى معظم الأساقفة الشرقيين وجهة نظر الكنائس الشرقية في عدم مناسبة تحديد عصمة البابا، لئلا تتسع شقة الخلاف بينهم وبين الأخوة الأرثوذكسيين. ولما أصرت الأكرية في المجمع على تحديدها، وافق على ذلك بطريرك الروم الكاثوليك غريغوريوس يوسف ووقعه مع هذه الزيادة التي اقتبسها عن نص مجمع فلورنسا: "مع المحافظة على حقوق البطارقة".<sup>١</sup>

ثم تطورت الأمور، فأظهر البابا لاون الثالث عشر (١٨٧٨ - ١٩٠٣) تفهماً أوسع لأوضاع الكنائس الشرقية. وكان المؤتمر القبراني المنعقد في القدس سنة ١٨٩٣ نقطة انطلاق في تغيير موقف روما تجاه الشرق. لقد اتصل موقف البابا في أثنائه بالأحبار الشرقيين، واستمع إلى شكاويهم ورغباتهم، ورفع إلى البابا تقريراً عنها. فاستدعى البابا مصافى البطارقة إلى روما، وتحدث إليهم مباشرة، وتفهم أوضاع كنائسهم وأدرك

---

١ - بيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، مرجع سابق، ص ٢٩٢.

مطالبهم. وأصدر بعد هذا الاجتماع رسالته الشهيرة "مقام الشرقيين" بتاريخ ٦ كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٤، التي أكد فيها من جديد على المحافظة على التراث الشرقي النبيل، وفرض على المرسلين الغربيين في الشرق احترام الطقوس والتقاليد والسلطات الشرقية. وواصل البابا بنديكتوس الخامس عشر (١٩١٤ - ١٩٢٢) السير في هذا الاتجاه القويم، وأسّس في الأول من أيار (مايو) ١٩١٧ "المجمع الشرقي" وترأسه شخصياً<sup>١</sup>، ثم أسّس في ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ المعهد العالي للدراسات الشرقية. وشجّع البابا بيوس الحادي عشر (١٩٢٢ - ١٩٣٩) الغربيين على الاطلاع على الشرق والشرقيين، وحرّض بعض الرهبانيات الغربية على ممارسة فرائض الطقس الشرقي. وفي سنة ١٩٢٩ أمر بتشكيل لجنة خاصة لجمع مصادر الحقوق القانونية الشرقية، فأكد على استقلال القوانين الشرقية عن الشرع الغربي. وظهرت في عهد البابا بيوس الثاني عشر (١٩٣٩ - ١٩٥٨) بعض أقسام الحقوق القانونية الشرقية، فوحدت بين مختلف تشريعات الكنائس الشرقية، إلّا في بعض النقاط الطفيفة<sup>٢</sup>.

### في المجمع الفاتيكاني الثاني وبعده

أمّا الدور الذي رسمه الشرقيون لأنفسهم، عموماً، إبان المجمع الفاتيكاني الثاني، فيتلخّص في الأمور التالية: "العمل على تجديد الكنيسة الكاثوليكية من خلال الشهادة لحياتهم الكنسية والليتورجية وعرض لاهوتهم الخاص المرتكز على تعليم الآباء؛ والسعي للتقارب مع الكنائس الشرقية الأرثوذكسية، مع الحرص على عدم توسيع الهوة

١ - سوف يومّع البابا بيوس الحادي عشر (١٩٢٢ - ١٩٣٩) صلاحيات المجمع لشرقي سنة ١٩٣٨ ليشمل اللاتين المقيمين في الشرق.

٢ - يقيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، مرجع سابق، ص ٢٩٠ - ٢٩٤.

التي تفصل بين العالمين المسيحيين؛ حثّ المجمع على الإعتراف بالمكانة الخاصة التي يحتلّها أبناء الكنائس الشرقية الكاثوليكية ضمن الشركة الكاثوليكية، وبنظامهم المستقل كصورة مسبقة لما ستكون علاقات الشرق بكنيسة روما، إذا ما أعيدت الشركة الكاملة بينهما. وانبرت الكنائس الشرقية بجدّ لتحقيق مهامّها، إن إيمان المرحلتين التمهيدية والتحضيرية، وإن أثناء انعقاد المجمع. وبذلت جهداً جباراً يتعدّى إمكانياتها الضعيفة<sup>١</sup>.

إنّ الفارق بين الدور الذي لعبته والتأثير الذي حقّقه الكنائس الشرقية الكاثوليكية في كلّ من المجمعين الفاتيكانيّ الأول والثاني، يعود إلى حدّ بعيد إلى موقف الحبرين، يوحنا الثالث والعشرين (١٩٥٨ - ١٩٦٣) وبولس السادس (١٩٦٣ - ١٩٧٨)، وهو الدور المحبّ والمشجّع، وإلى انفتاح آباء المجمع الذي جعل من أقلية المجمع الفاتيكانيّ الأول (١٨٦٩ - ١٨٧٠) أكثرية المجمع الفاتيكانيّ الثاني، كما يعود إلى قوّة وشجاعة شخصيات مثل البطريرك الملكيّ مكسيموس الرابع<sup>٢</sup> الذي عرف أن يحاط بمعاونين جديرين، ويستقطب حوله جميع أعضاء سينودوسه، وكان الأحرار الملكيّون في اتصال دائم أثناء المجمع مع ألع اللاهوتيين، ومجموعات الأساقفة الأكثر تأثيراً وانفتاحاً<sup>٣</sup>.

بعد المجمع الفاتيكانيّ الثاني، لم يعد الشرقيّون يمثلون مجرد تقاليد شعبية غريبة، أو روايب متأخرة للماضي، فهم حملة رسالة خاصة، ولهم ما يقولونه للكنيسة جمعاء،

---

١ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، مرجع سابق، ص ٣٧٩، ٢٩٠ - ٢٩٤.

٢ - راجع: الجزء الحادي عشر من هذه الموسوعة.

٣ - يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، مرجع سابق، ص ٣٨٠.

رغم ضعفهم ونقائصهم، وإن صوته بوجه الإجمال كان مسموعاً. فلقد أثارت مداخلتهم الإنتباه خصوصاً في مجال الليتورجيا، حيث دافعوا عن استعمال اللغات الحية ومشاركة الكهنة في القداس والمناولة تحت الشكّلين. وفي مجال لاهوت الكنيسة أبرزوا طبيعة الكنيسة كشركة سرّية، وشدّدوا على دور المصنّف الأسقي والطابع السينودوسي في الكنيسة، وطالبوا بتخفيف للمركزيّة في الكنيسة، وإصلاح الدائرة الرومانية. وأبرزوا عمل الروح القدس في التدبير الخلاصي، ولا سيّما دوره في سماع كلمة الله وإقامة الليتورجيا والأسرار وبناء الكنيسة. ومراعاة للكنائس الشرقية، ولا سيّما التي في الشرق العربي، نقل النصّ الذي يتحدّث عن العلاقات بالديانة اليهودية، من القرار المتعلّق بالحركة المسكونيّة الذي يُعنى أصلاً بوحدة الكنائس المسيحية، إلى مكانه الأنسب، إلى التصريح عن علاقات الكنيسة الكاثوليكية بالديانات غير المسيحية<sup>١</sup>.

وفي المجال المسكوني عمل الشرقيّون الكاثوليك كثيراً للانفتاح على الكنيسة الأرثوذكسية. وإن تأسّس أمانة السرّ لوحدة المسيحيّين مدين إلى حدّ كبير إلى اقتراحاتهم. وأناطوا اهتمامهم أيضاً بكلّ المواضيع التي طُرحت في المجمع، بمصادر الوحي، والتربية المسيحية، والإلحاد، وأخلاقيات الحياة الزوجية، والعلاقات بسائر الأديان. وقد ألّفوا خطابات في هذه المواضيع، أو اكتفوا بتقديم عرائض خطيّة. وفي هذه المجالات كلّها حاول الكاثوليك الشرقيّون إسماع صوت تراث الشرق، ليرفدوا العقلية الغربية بمزيد من التكمال والتوازن، ممّا يخلق في الكنيسة الكاثوليكية جواً يسهل للأرثوذكس أن يعيشوا فيه، فيجعل إعادة الشركة المفصومة ممكناً.

---

١ - المرجع السابق.

حتى إن الأرثوذكس اليونان، رغم نفورهم من الكاثوليك الشرقيين، أقرّوا بالدور الذي لعبته الكنائس الشرقية الكاثوليكية في المجمع، ولا سيّما كنيسة الروم الكاثوليك<sup>١</sup>.

وإذا كانت جميع الشؤون المرتبطة بحياة الكنيسة، قد أثارت اهتمام الشرقيين الكاثوليك في المجمع الفاتيكاني الثاني، لكنّه من البديهيّ أنّهم كانوا معنيّين بشكل خاصّ بكلّ ما سيعلن المجمع ويقرّر في شؤونهم.

أعدّ مشروع القرار المتعلّق بالكنائس الشرقية لجنة كان الشرقيّون ممثّلين فيها بشكل خاصّ. وكان أحد أعضائها البارزين المطران ناوفيطوس إيلبي<sup>٢</sup>، وقد أُجريت على هذا المشروع، بناءً على طلب اللجنة المركزيّة للمجمع، عدّة تعديلات واختصارات. وعُرض نصّ مشروع القرار على آباء المجمع في نهاية الجلسة العامّة المئة والثانية في ١٥ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٩٦٤، واستغرق النقاش ثلاث جلسات عامّة، وامتدّ حتّى بدء الجلسة العامّة المئة والخامسة في ٢٠ تشرين الأوّل (أكتوبر) ١٩٦٤، فتحتّ فيها ثلاثة آباء، قبل أن يُحال المشروع على التصويت. ولم يقتصر النقاش على فحوى القرار، إذ كان البعض يرفضونه بجملته، لا بل يرون ملائمًا أن يصدر قرار خاصّ بشأن الكنائس الشرقية. وقد عارض القرار من ارتأوا أنّه يشدّد أكثر ممّا ينبغي على امتيازات الشرق، ومنهم مناصرو الحركة المسكونيّة المتحمّسون

---

١ - راجع: الجزء الحادي عشر من هذه الموسوعة؛ و ككب د. وسلم، مرجع سابق، ص ٩٦؛ يتيم وديك، مرجع سابق، ص ٣٨١.

٢ - ناوفيطس إيلبي (ت ١٩٩٥) أسقف ملكيّ كاثوليكيّ، ترك سلسلة قيّم في التراث العربيّ المسيحيّ؛ راجع الجزء الحادي عشر من هذه الموسوعة.

الذين كانوا يخشون من امتعاض الكنائس الأرثوذكسية، لكون المجمع يشرع بشؤون الشرق، ويجند اعترافه بالكنائس الشرقية التي تثير نفورهم. أما المدافعون عن القرار فرأوا أنه، رغم ما فيه من نقص، فهو خير ما يمكن حصول الإجماع حوله، وله بُعد مسكوني هام، ويشكل خطوة هامة لإعطاء الشرق من جديد المكانة التي يستحقها في إطار الكتلة. وإن كان القرار في العديد من نقاطه، لم يأت بجديد. فهو يكرّر ما كان قد صرح به باباوات العصر الحديث، بشأن كرامة الكنائس الشرقية، والمحافظة على طقوسها والضرورة المترتبة على الغربيين، ليتقّفوا في أمور الشرق. إلا أن تأثير هذه النداءات كان ضئيلاً جداً في مجمل الكنيسة الكاثوليكية بأغليبتها اللاتينية. أما الأهمية الأكبر لمضمون القرار، فهي في ما يعنيه من تعهد من قبل مصفّ الأساقفة بجملة، إلى جانب الحبر الروماني. وعلاوة على ذلك يشكل القرار خطوة هامة إلى الأمام، على طريق إحياء التراث الشرقي التليد. وهناك نقطتان لهما نتائج جزيلة الأهمية: المساواة في الحقوق والواجبات ضمن الكنيسة الكاثوليكية بين الشرقيين واللاتين؛ وإحياء حقوق البطاركة القديمة كما كانت عليه قبل الشقاق<sup>١</sup>.

بعد المجمع الفاتيكاني الثاني، شكّل البابا بولس السادس لجنة لمتابعة العمل في التشريع الشرقي على ضوء مقرّرات المجمع الفاتيكاني الثاني. وانتهت الأعمال عام ١٩٩٠، ووقع التشريع البابا يوحنا بولس الثاني في ١٨ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٠ بحضور البطاركة الشرقيين، وقدمه رسمياً لأعضاء السينودس الروماني في جلسة ٢٥ تشرين الأول (أكتوبر)، على أن يدخل حيّز التنفيذ في ١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩١. ذلك أن الكنائس الكاثوليكية، في الشرق الأوسط، كانت قد ازدهرت بعد انتهاء

---

١ - راجع ما جاء في القرار بهذا الخصوص في الجزء العاشر والجزء الحادي عشر من هذه الموسوعة.



الإحتلال العثماني، فتعددت المدارس العلمية والمهنية في مختلف أقطار البلاد العربية، وانتعشت المؤسسات الاجتماعية من مستشفيات وملاجئ ومي�ام، ونشطت المشاريع الدينية والتربوية من حركات كشفية ونواد ومنظمات كاثوليكية، فتمت الحياة المسيحية في القلوب رغم الصعوبات التي نجمت عن اقتحام المدنية العصرية ديار الشرق العربي، تلك المدنية الملوثة بالفساد والإلحاد. وبقيت تلك الكنائس، مع ارتباطها جميعاً بكنيسة روما، يعيش كل منها مستقلاً بحسب أنظمته الخاصة، كما كان في العهد العثماني. وقد أثارت هذه "الانعزالية"، في الإدارة والتنظيم، صعوبات عملية، وشكلت عاملاً من عوامل الضعف في الكنيسة. وإذ شعر كل من كنيسة روما والكنائس الكاثوليكية الوطنية بهذا التفكك الإداري، أصدرت روما التشريع الكنسي الشرقي الموحد، إلا في بعض تفاصيل طفيفة، الذي أشرنا إلى أنه دخل حيز التنفيذ في ١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩١. فأخذت تلك الكنائس نفسها تتقرب من بعضها البعض، وتتظم المجالس المشتركة للتداول في مختلف الأمور العامة، على أساس القطر الواحد، لا على أساس الملة المنعزلة، فزال بعض الحدود الذي كان قائماً قديماً، وإن كان هذا التطور لم يتبلور بعد في صيغة قانونية إلزامية. وهاجر كثيرون من مسيحي الشرق إلى أوروبا والأميركتين، حيث قامت جاليات كاثوليكية هامة، ناقلة معها الطقوس الشرقية إلى بلاد المهجر. وأقيم للمغتربين نظام خاص من رعايا ونيابات أسقفية فأبرشيات، وهدف الكنيسة في ذلك المحافظة على صبغتهم الشرقية ومنعهم من الذوبان في المجتمع الغربي اللاتيني. ومع انتعاش الحركة المسكونية مؤخراً، أخذت الكنائس الكاثوليكية تشعر بألم انفصالها عن شقيقاتها الأرثوذكسيات، وتحس بأن لها دوراً هاماً تقوم به بين العالمين الغربي والأرثوذكسي، فراحت تعمل على إزالة كل ما من شأنه أن يكون عقبة في وجه الوحدة المسيحية الشاملة، فتمسكت على السواء بولاتها التام

للكرسي الروماني، وحافظت على شخصيتها الشرقية وتراثها التليد، لتكون صورة محبة للوحدة المنشودة بين الشرق والغرب، وقد تجلّى دورها هذا أثناء المجمع الفاتيكاني الثاني<sup>١</sup>.

## الكنائس الشرقية والحركة المسكونية

على الصعيد المسكوني، لعبت الكنائس الشرقية في المجمع الفاتيكاني الثاني دوراً هاماً داخل "حركة التجديدات الطقسية" والمساعي في سبيل الوحدة المسيحية. فازدادت أهميتها في العالم المسيحي، لا سيما بعد أن استعاد الكاثوليك الشرقيون حريتهم الدينية في روسيا ورومانيا وسائر دول أوروبا الشرقية عام ١٩٩٠. وانضمت الكنائس الشرقية الكاثوليكية في الشرق العربي إلى "مجلس كنائس الشرق الأوسط" في عام ١٩٨٩. وهو المجلس الذي كان يقتصر، عند تأسيسه سنة ١٩٧٤، على الإنجيليين والأرثوذكس<sup>٢</sup>.

---

١ - يتم ذلك، مرجع سابق، ص ٢٩٣ - ٢٩٧.

٢ - يتم ذلك، مرجع سابق، ص ٢٩٧.



